تفسير سورة النمل

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗاۖ سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٩ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ١٢ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤ ﴾

[النمل: ١-١٤].

Mostafa.com

س: وضح معنى ما يلي:

﴿طسٓ - مُّبِينٍ - يُوقِنُونَ - زَيَّنَّا - يَعْمَهُونَ - لَتُلَقَّى - لَّدُنْ - ءَانَسْتُ - بِشِهَابٍ قَبَسٍ - تَصْطَلُونَ - بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ - وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ - جَآنٌّ - وَلَّىٰ مُدْبِرًا - وَلَمْ يُعَقِّبْۚ - لَدَيَّ - بَدَّلَ حُسْنًا - مِنۢ بَعْدِ سُوٓءٍ - تِسْعِ ءَايَٰتٍ - مُبْصِرَةً - سِحْرٌ - وَجَحَدُواْ بِهَا - وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ - ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿طسٓ﴾	أحرف مقطعة، بُدئت بها بعض السور لا يعمل معناها إلا الله
﴿مُّبِينٍ﴾	مظهر موضح للأشياء – ظاهر بيِّن
﴿يُوقِنُونَ﴾	يصدقون
﴿زَيَّنَّا﴾	حسَّنا
﴿يَعْمَهُونَ﴾	يترددون – يتحيرون في الضلالة
﴿لَتُلَقَّى﴾	لتأخذ – لتتلقى
﴿لَّدُنْ﴾	عند
﴿ءَانَسْتُ﴾	أبصرت – أحسست
﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾	بشعلة مقتبسة
﴿تَصْطَلُونَ﴾	تستدفئون (من البرد)
﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾	تقدس وتعاظم وكثر الخير الوارد منه

MOSTAFALIBRARY.COM

﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾	تنزه الله (عن كل ما لا يليق به)
﴿جَآنّٞ﴾	حية عظيمة، نوع من الحيات سريعة الحركة
﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا﴾	انصرف هاربًا مسرعًا
﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾	لم يلتفت – لم يرجع
﴿لَدَيَّ﴾	عندي
﴿بَدَّلَ حُسۡنَۢا﴾	عمل أعمالًا صالحة يبتغى بها وجه الله بعد أن عمل سوءًا
﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ﴾	من غير برص ولا مرض
﴿تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾	تسع حجج واضحات – تسع معجزات
﴿مُبۡصِرَةً﴾	مضيئة – نيّرة – واضحة يسترشد بها من أراد الاهتداء
﴿سِحۡرٞ﴾	سحر مظهرٌ لمن رآه أن فاعله ساحر
﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾	أنكروها – كذبوا بها، مع علمهم أنها من عند الله
﴿وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾	كان عندهم يقين أنها من عند الله
﴿ظُلۡمٗا﴾	بخسًا لأنفسهم حقها من الأمان كلما كذبوا استجلبوا لأنفسهم نارًا
﴿وَعُلُوّٗاۚ﴾	تعاليًا عن الحق ورفضًا له

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣﴾.

Mostafawy.com

ج: أما عن قوله تعالى: ﴿طسٓ﴾ فأحرف مقطعة، لا يعلم معناها إلا الله.

وقوله: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ هذه المتلوة عليك والمنزلة عليك آيات القرآن وكتاب مظهر موضح لكل الحقائق، مظهر لكونك رسول من عند الله ﷻ، كتاب من عند الله حقًّا، ليس كما يقول أهل الظلم وأهل الكفر من أنك افتريته وتقوَّلته واختلقته، قد أنزلناه عليك ﴿هُدًى﴾ دلالة وإرشادًا وتوفيقًا وتبشيرًا للطائعين المصدقين بالله ووحدانيته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

مبشرًا لهم بفسيح الجنان وجميل الثواب، تُبشر هؤلاء العاملين، الذين اتبعوا الإيمان بالعمل الصالح هم يُداومون على الصلاة ويحافظون عليها في أوقاتها بأركانها وواجباتها وحدودها وفرائضها، وكذا فإنهم يؤدون ما أوجب الله عليهم أداءه من الزكوات وهم بالآخرة وما فيها من الثواب والعقاب مُصدقين تمام التصديق.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن هذه الآيات التي أنزلتها إليك يا محمد لآيات القرآن، وآيات كتاب مبين: يقول: يبين لمن تدبَّره، وفكَّر فيه بفهم أنه من عند الله، أنزله إليك، لم تتخرّصه أنت ولم تتقوّله، ولا أحد سواك من خلق الله؛ لأنه لا يقدر أحد من الخَلْق أن يأتي بمثله، ولو تظاهر عليه الجنّ والإنس. وخفض قوله: ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ عطفًا به على القرآن. وقوله: ﴿هُدًى﴾ من صفة القرآن.

يقول: هذه آيات القرآن بيان من الله بيَّن به طريق الحق وسبيل السلام.

MOSTAFAAZIZ.COM

﴿وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يقول: وبشارة لمن آمن به، وصدّق بما أنزل فيه بالفوز العظيم في المعاد.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يقول: هو هُدًى وبشرى لمن آمن بها، وأقام الصلاة المفروضة بحدودها. وقوله: ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يقول: ويؤدّون الزكاة المفروضة. وقيل: معناه: ويُطهرون أجسادهم من دنس المعاصي.

وقد بيَّنا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ يقول: وهم مع إقامتهم الصلاة، وإيتائهم الزكاة الواجبة، بالمعاد إلى الله بعد الممات يوقنون، فيذلون في طاعة الله، رجاء جزيل ثوابه، وخوف عظيم عقابه، وليسوا كالذين يكذّبون بالبعث، ولا يبالون، أحسنوا أم أساءوا، وأطاعوا أم عصوا؛ لأنهم إن أحسنوا لم يرجوا ثوابًا، وإن أساءوا لم يخافوا عقابًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ﴾ أي: هذه آيات ﴿ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ﴾ أي: بين واضح.

﴿هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لِمَنْ آمن به واتبعه وصدقه، وعمل بما فيه، وأقام الصلاة المكتوبة، وآتى الزكاة المفروضة، وآمن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت، والجزاء على الأعمال، خيرها وشرها، والجنة والنار، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٤]. وقال: ﴿لِّتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا﴾ [مريم: ٩٧].

MOSTAFALARAWY.COM

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

ينبه تعالى عباده على عظمة القرآن ويشير إليه إشارة دالة على التعظيم فقال:

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: هي أعلى الآيات وأقوى البينات وأوضح الدلالات وأبينها على أجل المطالب وأفضل المقاصد، وخير الأعمال وأزكى الأخلاق.

آيات تدل على الأخبار الصادقة والأوامر الحسنة والنهي عن كل عمل وخيم وخُلُق ذميم.

آيات بلغت في وضوحها وبيانها للبصائر النيرة مبلغ الشمس للأبصار.

آيات دلت على الإيمان ودعت للوصول إلى الإيمان، وأخبرت عن الغيوب الماضية والمستقبلة، طبقًا ما كان ويكون.

آيات دعت إلى معرفة الرب العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وأفعاله الكاملة.

آيات عرفتنا برسله وأوليائه ووصفتهم حتى كأننا ننظر إليهم بأبصارنا، ولكن مع هذا لم ينتفع بها كثير من العالمين ولم يهتد بها جميع المعاندين صونًا لها عن من لا خير فيه ولا صلاح ولا زكاء في قلبه، وإنما اهتدى بها من خصَّهم الله بالإيمان واستنارت بذلك قلوبهم وصفت سرائرهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٥ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: إن الذين يكذبون بالبعث وينكرونه وينكرون

MOSTAFAABDY.COM

الثواب والعقاب والجنة والنار حسَّنا لهم في أعينهم أعمالهم، فعملوا أعمالًا سيئة ورأوها حسنة فاستمروا فيها وتمادوا فيها، يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

فهؤلاء الذين استمروا في الضلالة مع ظنهم أنها حسنة لهم يوم القيامة العذاب الذي يُسيئهم وهم أكثر الناس خسرانًا لأنفسهم ولأعمالهم فقد ضاعت عليهم أعمالهم التي عملوها، بل وانقلبت عليهم شرًّا وعذابًا، والعياذ بالله.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن الذين لا يصدّقون بالدار الآخرة، وقيام الساعة، وبالمعاد إلى الله بعد الممات والثواب والعقاب. ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

يقول: حببنا إليهم قبيح أعمالهم، وسهَّلنا ذلك عليهم. ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ يقول: فهم في ضلال أعمالهم القبيحة التي زيَّناها لهم يتردّدون حيارى يحسبون أنهم يحسنون.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة لهم سوء العذاب في الدنيا، وهم الذين قتلوا ببدر من مشركي قريش.

يقول: وهم يوم القيامة هم الأوضعون تجارة والأوكسوها باشترائهم الضلالة بالهدى ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: يكذبون بها، ويستبعدون وقوعها ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي: حَسَّنَّا لهم ما هم فيه، ومددنا لهم في غَيهم فهم يَتيهون في ضلالهم. وكان هذا جزاء على ما كذبوا به من الدار الآخرة، كما قال تعالى:

mostafaabbw.com

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[الأنعام: ١١٠]، ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ أي: في الدنيا والآخرة، ﴿وَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ أي: ليس يخسر أنفسهم وأموالهم سواهم من أهل المحشر.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ أي: لا يصدقون بالبعث ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ﴾ قيل: أعمالهم السيئة حتى رأوها حسنة وقيل: زيَّنا لهم أعمالهم الحسنة فلم يعملوها. وقال الزجاج: جعلنا جزاءهم على كفرهم أن زينا لهم ما هم فيه، قوله تعالى: ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي: يترددون في أعمالهم الخبيثة وفي ضلالتهم عن ابن عباس. أبو العالية: يتمادون. قتادة: يلعبون. الحسن: يتحيرون، قال الراجز:

ومهمه أطرافه في مهمه أعمى الهدى بالحائرين العُمَّه

قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ وهو جهنم قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ في الآخرة تبيين وليس بمتعلق بالأخسرين فإن من الناس من خسر الدنيا وربح الآخرة وهؤلاء خسروا الآخرة بكفرهم فهم أخسر كل خاسر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: وإنك يا رسول الله لتأخذ هذا القرآن وتتلقاه من عند الله ﷻ الحكيم في شرعه وقضائه وقدره، وفي كل الأمور العليم بكل الأحوال، لا تخفى عليه خافية.

هذا، ومن العلماء من قال إنه قوله: ﴿عَلِيمٍ ﴾ متعلق بما بعده، أي: وإنك لتلقى القرآن من عند حكيم عليم بقول موسى لأهله: إني آنست نارًا.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

Nostarabia.com

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإنك يا محمد لتحفظ القرآن وتعلمه ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ يقول: من عند حكيم بتدبير خلقه، عليم بأنباء خلقه ومصالحهم، والكائن من أمورهم، والماضي من أخبارهم، والحادث منها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أي: ﴿وَإِنَّكَ﴾ يا محمد - قال قتادة: ﴿لَتُلَقَّى﴾ أي: لتأخذ. ﴿ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أي: من عند حكيم عليم، أي: حكيم في أوامره ونواهيه، عليم بالأمور جليلها وحقيرها، فخبره هو الصدق المحض، وحكمه هو العدل التامُّ، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

❁ ❁ ❁

س: ذكر العلماء قراءتين في قوله: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ وضحهما مع بيان معنيهما.

ج: أما القراءتان؛ فالأولى: بشهاب قبس ومعناها بشعلةٍ اقتبسها.

والثانية: بشهابٍ قبسٍ والمعنى بشهاب مقتبس.

❁ ❁ ❁

س: ما العامل في قوله: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ ؟

ج: لأهل العلم هنا قولان:

أحدهما: أن العامل فيه ما تقدم قبله، وهو قوله: ﴿عَلِيمٍ﴾ فالمعنى عليم بقول موسى لأهله.

الثاني: أن العامل فيه واذكر، والمعنى واذكر يا رسول الله قول موسى لقومه. والله أعلم.

MOSTAFA ABDO.COM

❁ ❁ ❁

شيءٌ من ذكر موسى عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: واذكر قول موسى عليه السلام لأهله حين رجوعه من بلاد مدين متجهًا إلى مصر، وهو في سيناء عند جبل الطور إذ قال لأهله والأجواء مظلمة والليالي باردة، وقد أبصر نارًا فقال: إني أبصرت نارًا فامكثوا حتى آتيكم منها بخبر لعلنا نستدل به على طريقنا طريق الرجوع أو آتي بخبر عن أهل مصر الذين سنذهب إليهم وعن فرعون وماذا صنع، أو آتيكم بشعلةٍ من هذه النار اقتبسها منها لعلكم تستدفئون بها من هذا البرد، فلما جاءها ناداه ربُّه ﷻ وكلمه أن بورك مَنْ في النار، أي تقدَّس من في النار وتعاظم وتكاثر الخير الوارد من قبله، والمراد بالنار – عند كثير من العلماء – النور الذي هو الحجاب، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»(١).

وقال بعض أهل العلم: إن المراد بالنار النار حقيقة إذ الله قال أن بورك من في النار.

وأما قوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: وبارك الله فيمن حولها شرفهم الله بهذا الشرف، كما قال في آية أخرى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣] والمراد بالذين حولها الملائكة عليهم سلام الله وكذا موسى عليه السلام،

(١) انظر مسلم (حديث ١٧٩).

Mostafa-adly.com

وأيضًا الوادي المكان فهو وادٍ مقدس كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢].

أما قوله تعالى: ﴿وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: وتنزَّه عن كل نقصٍ وعيب وتنزَّه عن الشريك والمثيل والنِّد والصاحبة والولد وتنزَّه عن كل ما لا يليق به، فهو ربُّ العالمين رب السموات والأرض وما بينهما.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ وإذ من صلة عليم. ومعنى الكلام: عليم حين قال موسى ﴿لِأَهْلِهِۦٓ﴾ وهو في مسيره من مدين إلى مصر، وقد آذاهم برد ليلهم لما أصلد زنده. ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ أي: أبصرت نارًا أو أحسستها، فامكثوا مكانكم ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ يعني من النار، والهاء والألف من ذكر النار ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: «بِشِهَابِ قَبَسٍ» بإضافة الشهاب إلى القبس، وترك التنوين، بمعنى: أو آتيكم بشعلة نار أقتبسها منها. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ بتنوين الشهاب وترك إضافته إلى القبس، يعني: أو آتيكم بشهاب مقتبس.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان في قَرَأة الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ يقول: كي تصطلوا بها من البرد. وقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ يقول: فلما جاء موسى النار التي آنسها ﴿نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

وأورد الطبري بسندٍ فيه مقال عن ابن عباس، قال: ﴿نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ يقول: قدَّس.

واختلف أهل التأويل في المعنِّي بقوله: ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ فقال بعضهم: عني جلّ جلاله بذلك نفسه، وهو الذي كان في النار، وكانت النار نوره تعالى ذكره في قول جماعة من أهل التأويل.

وأورد أثرًا ضعيف الإسناد عن ابن عباس: في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ يعني نفسه؛ قال: كان نور ربّ العالمين في الشجرة.

قال الطبري: وقال آخرون: بل معنى ذلك: بوركت النار.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف أهل التأويل في معنى النار في هذا الموضع، فقال بعضهم: معناه: النور، كما ذكرت عمن ذكرت ذلك عنه.

وقال آخرون: معناه النار لا النور.

وقوله: ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ يقول: ومن حول النار. وقيل: عَني بمن حولها: الملائكة.

وقال آخرون: هو موسى والملائكة.

وقوله: ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ يقول: وتنزيهًا لله رب العالمين، مما يصفه به الظالمون.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لرسوله ﷺ مذكرًا له ما كان من أمر موسى، كيف اصطفاه الله وكلمه، وناجاه وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة، والأدلة القاهرة، وابتعثه

MOSTAFALADAW.COM

إلى فرعون وملئه، فجحدوا بها وكفروا واستكبروا عن اتباعه والانقياد له، فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾ أي: اذكر حين سار موسى بأهله، فأضل الطريق، وذلك في ليل وظلام، فآنس من جانب الطور نارًا، أي: رأى نارًا تأجج وتضطرم، فقال ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ أي: عن الطريق، ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أي: تتدفؤون به. وكان كما قال، فإنه رجع منها بخبر عظيم، واقتبس منها نورًا عظيمًا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: فلما أتاها رأى منظرًا هائلًا عظيمًا؛ حيث انتهى إليها، والنار تضطرم في شجرة خضراء، لا تزداد النار إلا توقدًا، ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء.

قال ابن عباس وغيره[1]: لم تكن نارًا، إنما كانت نورًا يَتَوَهَّج.

وفي رواية عن ابن عباس[2]: نور رب العالمين. فوقف موسى متعجبًا مما رأى، فنودي أن بورك من في النار. قال ابن عباس: أي قُدّس. ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: من الملائكة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود -وهو الطيالسي- حدثنا شعبة والمسعودي، عن عمرو بن مُرَّة، سمع أبا عُبَيْدة يحدث، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل**». زاد المسعودي: «**وحجابه النور -أو النار- لو كشفها لأحْرَقَتْ سُبُحات وجهه كل شيء أدركه بصره**»[3]. ثم قرأ أبو عُبَيْدة: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ

(١، ٢) ولم أقف على سند صحيح عن ابن عباس بهذا، والأسانيد التي وقفت عليها فيها مقال.

(٣) مسلم (٢٤٩ و ٢٩٥ حديث ١٧٩) بنحوه.

وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ وأصل هذا الحديث مخرج في الصحيح لمسلم، من حديث عمرو ابن مُرَّة، به.

وقوله: ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي: الذي يفعل ما يشاء ولا يشبه شيئًا من مخلوقاته، ولا يحيط به شيء من مصنوعاته، وهو العلي العظيم، المباين لجميع المخلوقات، ولا يكتنفه الأرض والسموات، بل هو الأحد الصمد، المنزه عن مماثلة المحدثات.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ ﴾ (إذ) منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه قال على أثر قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾: خذ يا محمد بن آثار حكمته وعلمه قصة موسى؛ إذ قال لأهله: ﴿ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾ أي: أبصرتها من بعد قال الحارث بن حلزة:

آنست نبأة وأفزعها القناص عصرًا وقد دنا الإمساء

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا ﴾ أي فلما جاء موسى الذي ظن أنه نار وهي نور قاله وهب بن منبه، فلما رأى موسى النار وقف قريبًا منها فرآها تخرج من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة[1] يقال لها العليق، لا تزداد النار إلا عظمًا وتضرمًا ولا تزداد الشجرة إلا خضرة وحسنًا، فعجب منها وأهوى إليها بضغث في يده ليقتبس منها، فمالت إليه فخافها فتأخر عنها، ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها إلى أن وضح أمرها على أنها مأمورة، لا يدري من أمرها إلى أن ﴿ نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ وقد مضى هذا المعنى في (طه) ﴿ نُودِيَ ﴾ أي:

---

(١) قلت: ولم أقف على خبرٍ ثابت عن رسول الله ﷺ في ذِكر الشجرة. والله أعلم.

نـاداه الله كمـا قـال: ﴿ وَنَدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾ [مـريم: ٥٢] ﴿ أَنْ بُورِكَ ﴾ قـال الزجاج: ﴿أَنْ ﴾ في موضع نصب أي بأنه قال: ويجوز أن تكون في موضع رفع جعلها اسم ما لـم يسم فاعله وحكى أبو حاتم أن في قراءة أبي وابن عباس ومجاهد (**أَنْ بُورِكَت مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا**) قال النحاس: ومثل هذا لا يوجد بإسناد صحيح ولو صح لكان على التفسير فتكون البركة راجعة إلى النار ومن حولها الملائكة وموسى وحكى الكسائي عن العرب: باركك الله وبارك فيك الثعلبي العرب تقول: باركك الله وبارك فيك وبارك عليك وبارك لك أربع لغات، قال الشاعر:

فبوركت مولودًا وبوركت ناشئًا وبوركت عند الشيب إذ أنت أشيب

الطبري: قال ﴿ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾ ولم يقل بورك في من في النار على لغة من يقول: باركك الله ويقال باركه الله وبارك له وبارك عليه وبارك فيه بمعنى أي: بورك على من في النار وهو موسى أو على من في قرب النار لا أنه كان في وسطها وقال السدي: كان في النار ملائكة، فالتبريك عائد إلى موسى والملائكة أي بورك فيك يا موسى وفي الملائكة الذين هم حولها وهذا تحية من الله تعالى لموسى وتكرمة له كما حيَّا إبراهيم على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه قال: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [هود: ٧٣] وقول ثالث قاله ابن عباس و الحسن وسعيد بن جبير: قدس من في النار وهو الله سبحانه وتعالى عني به نفسه تقدس وتعالى. قال ابن عباس و محمد بن كعب: النار نور الله ﷻ نادى الله موسى وهو في النور.... إلى آخر ما قاله رحمه الله:

❁ ❁ ❁

Mostafa Adly.com

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١﴾؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فحاصل معناه: أن الله ﷻ أكرم موسى عليه السلام بكرامة عظيمة جدًّا، وهي كونه ناداه وكلمه بلا واسطة قائلًا له: إنه أنا الله العزيز الذي لا يُغلب، الحكيم في كل شيء يشرعه ويقضيه.

ثم إن الله ﷻ أمره بأن يلقي عصاه التي في يده، فألقاها عليه السلام، فتحوَّلت إلى حية عظيمة كما قال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٢٠] والجآن نوعٌ من أنواع الحيات العظيمة شديدة الحركة، فلما رآها موسى هكذا انصرف مسرعًا هاربًا ولم يلتفت وراءه ولم يرجع فناداه ربُّه ﷻ: يا موسى لا تخف مما رأيت إني لا يخاف عندي المرسلون الذين أخذتهم واجتبيتهم، فهؤلاء لا يخافون لكن من ظلم منهم فإني أُخيفه بسبب ما صدر منه من ظلم، وقد قال بعض أهل العلم هاهنا: إن موسى عليه السلام إنما خاف لكونه قد ظلم بقتل نفسٍ لم يُؤمر بقتلها.

ورُوي عن بعض أهل العلم أن الأنبياء عليهم السلام كانت تذنب فتعاقب، أي: من ارتكب منهم شيئًا من الذنب عُوقب به، ونُقل هذا بأسانيد فيها بعض المقال عن بعض التابعين، وقال به بعض المفسرون.

هذا، ومن العلماء من قال: إن المعنى تمَّ عند قوله: ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

أي: إني لا يخاف عندي رسلي إلا من ظلم منهم فإنه يخاف بسبب ذنبه.

Mostafa Adly.com

أما قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فقال بعض أهل العلم: إنه هنا مستقرٌّ محذوف مفهوم من السياق، والمعنى: أما من ظلم من سائر خَلْقي ثم عمل عملًا صالحًا مبتغيًا به وجه الله فإني غفورٌ لذنبه، رحيمٌ به.

هذا، ومن العلماء من قال إن قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ إلى هنا تم الكلام ثم استثناء منقطع حاصل معناه لكن من ظلم من سائر خلقي، ثم بدل حُسنًا بعد سوء فإني غفور له والله أعلم.

ويبقى هنا سؤال واردٌ على من قال إن من ظلم من المرسلين يُخيفه الله ﷻ بسبب ظلمه، ألا وهو إن موسى عليه السلام لما قتل النفس التي لم يؤمر بقتلها استغفر من ذلك إذ قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ فطلب المغفرة وغفر الله له إذ الله قال: ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ فكيف يُخيفه الله وقد غفر له؟؟؟!!!

وجواب ذلك فيما أرى والله أعلم أن موسى آنذاك لم يكن أُوحي إليه، وإنما أُرسل عليه السلام بعد تكليم ربِّه ﷻ له، فمن ثَمَّ لم يكن قد علم أن الله غفر له فبقي خائفًا من عقوبة ذنبه، ولحقه شيء من هذا الخوف في هذا المقام.

أو يُقال: إن الله ﷻ غفر له بعد هذه الوقائع.

أو يُقال: إنه لبيان أن من ظلم فإنه يخاف من عاقبة ظلمه.

أو يُقال: إلا من ظلم فإنه يخاف وإن كنت قد غفرت له والله أعلم.

وقال القرطبي رحمه الله:

فإن قال قائل: فما معنى الخوف بعد التوبة والمغفرة ؟ قيل له: هذه سبيل العلماء بالله ﷻ أن يكونوا خائفين من معاصيهم وجلين وهم أيضًا لا يأمنون أن يكون قد بقي من أشراط التوبة شيء لم يأتوا به فهم يخافونه من المطالبة

MostafaAbdo.com

به. وقال الحسن وابن جريج: قال الله لموسى: إني أخفتك لقتلك النفس. قال الحسن: وكانت الأنبياء تذنب فتعاقب. قال الثعلبي والقشيري والموردي وغيرهم: فالاستثناء على هذا صحيح أي إلا من ظلم نفسه من النبيين والمرسلين فيما فعل من صغيرة قبل النبوة وكان موسى خاف من قتل القبطي وتاب منه وقد قيل: إنهم بعد النبوة معصومون من الصغائر والكبائر قد مضى هذا في (البقرة).

قلت: والأول أصح لتصلبهم من ذلك في القيامة كما في حديث الشفاعة وإذا أحدث المقرب حدثًا فهو وإن غفر له ذلك الحدث فأثر ذلك الحدث باقٍ وما دام الأثر والتهمة قائمة، فالخوف كائن لا خوف العقوبة ولكن خوف العظمة والمتهم عند السلطان يجد للتهمة حزازة تؤديه إلى أن يكدر عليه صفاء الثقة، وموسى عليه السلام قد كان منه الحدث في ذلك الفرعوني ثم استغفر وأقر بالظلم على نفسه، ثم غفر له ثم قال بعد المغفرة: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧] ثم ابتلي من الغد بالفرعوني الآخر وأراد أن يبطش به فصار حدثًا آخر بهذه الإرادة وإنما ابتلي من الغد؛ لقوله: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ وتلك كلمة اقتدار من قوله: لن أفعل فعُوقب بالإرادة حين أراد أن يبطش ولم يفعل فسلط عليه الإسرائيلي حتى أفشى سره؛ لأن الإسرائيلي لما رآه تشمر للبطش ظن أنه يريده فأفشى عليه فـ ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾ [القصص: ١٩] فهرب الفرعوني وأخبر فرعون بما أفشى الإسرائيلي على موسى وكان القتيل بالأمس مكتومًا أمره، لا يدرى مَنْ قتله فلما علم فرعون بذلك وُجِّه في طلب موسى ليقتله واشتد الطلب وأخذوا

مجامع الطرق، جاء رجل يسعى فـ ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ﴾ [القصص: ٢٠] الآية فخرج كما أخبر الله فخوف موسى إنما كان من أجل هذا الحدث فهو وإن قربه ربُّه وأكرمه واصطفاه بالكلام فالتهمة الباقية ولَّت به ولم يعقب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيله لموسى: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾ في نقمته من أعدائه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبيره في خلقه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ في الكلام محذوف تُرك ذكره، استغناء بما ذُكِر عما حذف، وهو فألقاها فصارت حية تهتز ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ يقول: كأنها حية عظيمة، والجانّ: جنس من الحيات معروف.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ يقول تعالى ذكره: ولَّى موسى هاربًا خوفًا منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ يقول: ولم يرجع. من قولهم: عقب فلان: إذا رجع على عقبه إلى حيث بدأ.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ قال: لم يرجع ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ قال: لما ألقى العصا صارت حية، فرعب منها وجزع، فقال الله: ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ قال: فلم يرعوا لذلك، قال: فقال الله له: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ [القصص: ٣١] قال: فلم يقف أيضًا على شيء من هذا حتى قال: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٢١] قال: فالتفت فإذا هي عصا كما

Mostafa Adly.com

كانت فرجع فأخذها ثم قوي بعد ذلك حتى صار يرسلها على فرعون ويأخذها.

وقوله: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ يقول تعالى ذكره: فناداه ربه: يا موسى لا تخف من هذه الحية، إني لا يخاف لديّ المرسلون. يقول: إني لا يخاف عندي رسلي وأنبيائي الذين أختصهم بالنبوّة، إلا من ظلم منهم، فعمل بغير الذي أذن له في العمل به.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

وقال الطبري - بعد أن أورد أقوالًا وبعض القراءات -:

قوله: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ استثناء صحيح من قوله: ﴿لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ منهم فأتى ذنبًا، فإنه خائف لديه من عقوبته، وقد بيَّن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ معنى قيل الله لموسى ذلك، وهو قوله قال: إني إنما أخفتك لقتلك النفس.

فإن قال قائل: فما وجه قيله إن كان قوله: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ استثناءً صحيحًا، وخارجًا من عداد من لا يخاف لديه من المرسلين، وكيف يكون خائفا من كان قد وُعد الغفران والرحمة؟ قيل: إن قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ﴾ كلام آخر بعد الأوّل، وقد تناهى الخبر عن الرسل من ظلم منهم، ومن لم يظلم عند قوله: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ ثم ابتدأ الخبر عمن ظلم من الرسل، وسائر الناس غيرهم، وقيل: فمن ظلم ثم بدّل حسنًا بعد سوء فإني له غفور رحيم.

فإن قال قائل: فعلام تعطف إن كان الأمر كما قلت بـ(ثُمَّ) إن لم يكن عطفًا على قوله: ﴿ظَلَمَ﴾؟ قيل: على متروك استغني بدلالة قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ﴾ عليه عن إظهاره؛ إذ كان قد جرى قبل ذلك من الكلام نظيره، وهو فمن ظلم من الخلق. وأما الذين ذكرنا قولهم من أهل العربية، فقد قالوا على

مذهب العربية، غير أنهم أغفلوا معنى الكلمة وحملوها على غير وجهها من التأويل. وإنما ينبغي أن يُحمل الكلام على وجهه من التأويل، ويلتمس له على ذلك الوجه للإعراب في الصحة مخرج لا على إحالة الكلمة عن معناها ووجهها الصحيح من التأويل.

وقوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ يقول تعالى ذكره: فمن أتى ظلمًا من خَلْق الله، وركَّب مأثمًا، ثم بدل حُسنًا، يقول: ثم تاب من ظلمه ذلك وركوبه المأثم، ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ﴾ يقول: فإني ساتر على ذنبه وظلمه ذلك بعفوي عنه، وترك عقوبته عليه ﴿رَّحِيمٌ﴾ به أن أعاقبه بعد تبديله الحسن بضده.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أعلمه أن الذي يخاطبه ويناجيه هو ربه الله العزيز الحكيم، الذي عزَّ كل شيء وقهره وغلبه، الحكيم في أفعاله وأقواله.

ثم أمره أن يلقي عصاه من يده؛ ليُظهر له دليلًا واضحًا على أنه الفاعل المختار، القادر على كل شيء. فلما ألقى موسى تلك العصا من يده انقلبت في الحال حَيَّةً عظيمة هائلة في غاية الكبر، وسرعة الحركة مع ذلك؛ ولهذا قال: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ والجان: ضرب من الحيات، أسرعه حركة، وأكثره اضطرابًا - وفي الحديث نَهْيٌ عن قتل جِنَّان البيوت - فلما عاين موسى ذلك ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي: ولم يلتفت من شدة فرقه ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أي: لا تخف مما ترى، فإني أريد أن أصطَفيك رسولًا واجعلك نبيًّا وجيهًا.

وقوله: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ هذا استثناء منقطع،

وفيه بشارة عظيمة للبشر، وذلك أن من كان على شيء ثم أقلع عنه، ورجع وأناب، فإن الله يتوب عليه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠] والآيات في هذا كثيرة جدًّا.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ الهاء عماد وليست بكناية في قول الكوفيين والصحيح أنها كناية عن الأمر والشأن ﴿ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الغالب الذي ليس كمثله شيء ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في أمره وفعله وقيل: قال موسى: يا رب مَنِ الذي نادى؟ فقال له: ﴿ إِنَّهُۥٓ ﴾ أي: أني أنا المنادي لك ﴿ أَنَا ٱللَّهُ ﴾.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إنها قُلبت له أولًا حية صغيرة فلما أنس منها قُلبت حية كبيرة وقيل: انقلبت مرة حية صغيرة ومرة حية تسعى وهي الأنثى ومرة ثعبانًا وهو الذكر الكبير من الحيات وقيل: المعنى انقلبت ثعبانًا تهتز كأنها جانٌّ، لها عظم الثعبان وخفة الجان واهتزازه وهي حية تسعى وجمع الجان جنان ومنه الحديث: «نهى عن قتل الجنان التي في البيوت» ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾ خائفًا على عادة البشر ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ أي: لم يرجع قاله مجاهد. وقال قتادة: لم يلتفت ﴿ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ ﴾ أي: من الحية وضررها، ﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ وتمَّ الكلام، ثم استثنى استثناء منقطعا فقال: ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ وقيل: إنه استثناء من محذوف والمعنى: إني لا يخاف لدي المرسلون وإنما يخاف غيرهم ممن ظلم ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ ﴾ فإنه لا يخاف.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي الآية قول آخر: وهو أن يكون الاستثناء متصلًا والمعنى إلا من ظلم من المرسلين بإتيان الصغائر التي لا يسلم منها أحد سوى ما روي عن يحيى ابن زكريا عليه السلام وما ذكره الله تعالى في نبينا عليه السلام في قوله: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢] ذكره المهدوي واختاره النحاس وقال: علم الله من عصى منهم يُسرّ الخيفة فاستثناه فقال: ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ ﴾ فإنه يخاف وإن كنت قد غفرت له. الضحاك: يعني آدم وداود عليهما السلام. الزمخشري: كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان وإخوة يوسف ومن موسى عليه السلام بوكزه القبطي.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تيسير الكريم الرحمن):

﴿ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ لأن جميع المخاوف مندرجة في قضائه وقدره وتصريفه وأمره، فالذين اختصهم الله برسالته واصطفاهم لوحيه لا ينبغي لهم أن يخافوا غير الله خصوصًا عند زيادة القرب منه والحظوة بتكليمه.

﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ ﴾ أي: فهذا الذي هو محلُّ الخوف والوحشة بسبب ما أسدى من الظلم وما تقدم له من الجُرْم، وأما المرسلون فما لهم وللوحشة والخوف؟ ومع هذا من ظلم نفسه بمعاصي الله، وتاب وأناب فبدل سيئاته حسنات ومعاصيه طاعات فإن الله غفور رحيم، فلا ييأس أحد من رحمته ومغفرته فإنه يغفر الذنوب جميعًا وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها.

❁ ❁ ❁

س: هل هذه الآية، إدخال اليد في الجيب وإخراجها بيضاء من غير سوء،

Mostafa4dawy.com

داخلة في التسع أم أن الآيات تسعٌ غيرها، وهي العاشرة؟

ج: الظاهر – والله أعلم- أنها داخلة في تلك الآيات التسع فقوله: ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ معناه والله أعلم ضمن تسع آيات.

وإن كان من العلماء من قال إنها تسعٌ غيرها وهي العاشرة، لكن ما قدمته أولى، ولقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ﴾ [الإسراء: ١٠١].

❁ ❁ ❁

الآيات التسع التي أيد بها موسى عليه السلام

س: ما هذه الآيات التسع؟

ج: منها بالاتفاق العصا واليد، العصا التي تحوَّلت إلى حية تسعى، وتلك التي ضرب بها البحر فانفلق فكان كل فرقٍ كالطود العظيم، وتلك التي ضرب بها الحجر قائلًا: ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر. واليد التي تخرج بيضاء من غير سوء.

فهاتان آيتان العصا واليد:

ومنها المذكورات في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ [الأعراف: ١٣٣] فهذه خمس آيات.

(الطوفان – الجراد – القمل – الضفادع – الدم)

وثنتان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٣٠] فالسنون سنوات الشدة التي حلَّت بهم ونزلت، بما فيها من فقر ومرض، ونقص الثمرات فهاتان اثنتان.

فيكون المجموع للمذكور كله تسع.

Mostafa Adly.com

وهناك آيات تدخل ضمن المذكورات فالرجز المذكور في قولهم: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٤] داخلة في السنين (سنوات الشدة) أو داخل في الخمس المذكورات والله أعلم.

وهناك قرينة إيضاح لهذا في سورة الإسراء بحمد الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾.

ج: يقول الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ أي: في فتحة ثوبك، تلك الفتحة التي تُدخل فيها رأسك ثم أخرجها فإن أخرجتها خرجت بيضاء من غير مرض من غير برصٍ، خرجت بيضاء ناصعةً فهذه آية ومعجزة ضمن تسع آيات ومعجزات أيدناك بها وأرسلناك بها إلى فرعون وقومه فقد كانوا قومًا فاسقين، كافرين بالله جاحدين وحدانيته ونعمه.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيله لنبيه موسى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ ذكر أنه تعالى ذكره أمره أن يدخل كفه في جيبه؛ وإنما أمره بإدخاله في جيبه؛ لأن الذي كان عليه يومئذٍ مِدرعة من صوف. قال بعضهم: لم يكن لها كُمٌّ. وقال بعضهم: كان كمُّها إلى بعض يده.

وقال:

MOSTAFA ADEL .COM

﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ قال: الكفُّ فقط في جيبك، قال: كانت مدرعة إلى بعض يده، ولو كان لها كُمٌّ أمره أن يدخل يده في كمه.

وقوله: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ يقول: تخرج اليد بيضاء بغير لون موسى ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ يقول: من غير برص ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾، يقول تعالى ذكره: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾، فهي آية في تسع آيات مُرسل أنت بهنّ إلى فرعون؛ وترك ذكر مرسل لدلالة قوله: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ على أن ذلك معناه، كما قال الشاعر:

رأتْنِي بِحَبْلَيْهَا فَصَدَّتْ مخافَةً وفِي الحَبْلِ رَوْعاءُ الفُؤَادِ فَرُوقُ

ومعنى الكلام: رأتني مقبلًا بحبليها، فترك ذكر «مقبل» استغناء بمعرفة السامعين معناه في ذلك؛ إذ قال: رأتني بحبليها؛ ونظائر ذلك في كلام العرب كثيرة.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ قال: هي التي ذكر الله في القرآن: العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والطوفان، والدم، والحجر، والطمس الذي أصاب آل فرعون في أموالهم.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ يقول: إن فرعون وقومه من القبط كانوا قومًا فاسقين، يعني: كافرين بالله، وقد بيَّنا معنى الفسق فيما مضى.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ هذه آية أخرى، ودليل باهر على قدرة الله الفاعل المختار، وصِدْق من جعل له معجزة، وذلك أن الله -تعالى- أمره أن يُدخل يده في جيب دِرْعِه، فإذا أدخلها وأخرجها خَرجت بيضاء ساطعة، كأنها قطعة قمر، لها لمعان يتلألأ كالبرق الخاطف.

MostafaAdly.com

وقوله: ﴿ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ ﴾ أي: هاتان ثنتان من تسع آيات أؤيدك بهن، وأجعلهن برهانًا لك ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.

وهذه هي الآيات التسع التي قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ [الإسراء: ١٠١] كما تقدم تقرير ذلك هنالك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – فلما جاءت آل فرعون حججنا واضحة جلية منيرةً يستنيرون بها، ومضيئة يستضيئون بها وبصائر يستبصرون بها وصفوها بأنها سحر، فوصفوا العصا التي تحوَّلت إلى حية تسعى بأنها سحر، ووصفوا اليد التي تخرج بيضاء للناظرين بأنها سحر، فقالوا: هذا سحر مبين، سحرٌ مظهر لمن رآه، أن فاعله ساحر، أما قوله: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا ﴾ أي: وكذبوا رسولنا لما جاءهم بهذه الآيات، وأنكروا أن تكون هذه معجزات من عند الله ﷻ مع كونهم في قرار أنفسهم يوقنون أنها من عند الله، ولكن كذبوا بها فظلموا أنفسهم بهذا التكذيب، وكذَّبوا بها كبرًا وتعاليًا على الحق فأهلكوا أنفسهم بهذا الكبر وبذاك التعالي فانظر بعين الاعتبار والاتعاظ إلى ما حلَّ بهؤلاء القوم المفسدين، وكيف كانت عاقبة أمرهم، وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فلما جاءت فرعون آياتنا، يعني: أدلتنا وحججنا، على حقيقة ما دعاهم إليه موسى وصحته، وهي الآيات التسع التي ذكرناها قبل. وقوله: ﴿مُبْصِرَةً ﴾ يقول: يبصر بها من نظر إليها ورآها حقيقة ما دلت عليه.

Nostrabooks.com

وقال في قوله:

﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، يقول: قال فرعون وقومه: هذا الذي جاءنا به موسى سحر مبين، يقول: يبين للناظرين له أنه سحر.

وقوله: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا﴾ يقول: وكذبوا بالآيات التسع أن تكون من عند الله.

وقوله: ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ يقول: وأيقنتها قلوبهم، وعلموا يقينًا أنها من عند الله، فعاندوا بعد تبينهم الحق، ومعرفتهم به.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قول الله: ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ قال: استيقنوا أن الآيات من الله حقٌّ، فلما جحدوا بها؟ قال: ظلمًا وعلوًّا.

وقوله: ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ يعني بالظلم: الاعتداء، والعلو: الكبر، كأنه قيل: اعتداءً وتكبراً.

وقال:

ومعنى ذلك: وجحدوا بالآيات التسع ظلمًا وعلوًّا، واستيقنتها أنفسهم أنها من عند الله، فعاندوا الحقّ بعد وضوحه لهم، فهو من المؤخر الذي معناه التقديم.

وقوله: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

وقال الطبري أيضًا:

ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان عاقبة تكذيب هؤلاء الذين جحدوا آياتنا حين جاءتهم مبصرة؟! وماذا حلَّ بهم من إفسادهم في الأرض ومعصيتهم فيها ربهم، وأعقبهم ما فعلوا؟! فإن ذلك أخرجهم من جنات وعيون، وزروع ومقام كريم، إلى هلاك في العاجل بالغرق، وفي الآجل إلى عذاب دائم، لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون. يقول:

MOSTAFALABIB.COM

وكذلك يا محمد سُنتي في الذين كذّبوا بما جئتهم به من الآيات على حقيقة ما تدعوهم إليه من الحق من قومك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً ﴾ أي: بينة واضحة ظاهرة، ﴿ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ وأرادوا معارضته بسحرهم فغلبوا وانقلبوا صاغرين .

﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا ﴾ أي: في ظاهر أمرهم، ﴿ وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ أي: علموا في أنفسهم أنها حقٌّ من عند الله، ولكن جَحَدوها وعاندوها وكابروها، ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ أي: ظلمًا من أنفسهم، سَجِيَّة ملعونة، ﴿ وَعُلُوًّا ﴾ أي: استكبارًا عن اتباع الحق؛ ولهذا قال: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ أي: انظر يا محمد كيف كان عاقبة كُفرهم، في إهلاك الله إياهم، وإغراقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة.

وفحوى الخطاب يقول: احذروا أيها المكذبون بمحمد، الجاحدون لما جاء به من ربه، أن يصيبكم ما أصابهم بطريق الأولى والأحرى؛ فإن محمدًا، صلوات الله وسلامه عليه أشرف وأعظم من موسى، وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى، بما آتاه الله من الدلائل المقترنة بوجوده في نفسه وشمائله، وما سبقه من البشارات من الأنبياء به، وأخذ المواثيق له، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً ﴾ أي: واضحة بينة. قال الأخفش: ويجوز مبصرة وهو مصدر كما يقال: الولد مجبنة ﴿ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ جروا على عادتهم في التكذيب فلهذا قال: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ أي: تيقنوا أنها من عند الله وأنها ليست سحرًا ولكنهم كفروا بها وتكبروا

Mostafalabib.com

أن يؤمنوا بموسى وهذا يدل على أنهم كانوا معاندين و﴿ظُلْمًا﴾ ﴿وَعُلُوًّا﴾ منصوبان على نعت مصدر محذوف أي وجحدوا بها جحودًا ظلمًا وعلوًّا والباء زائدة أي: وجحدوها قاله أبو عبيدة ﴿فَانْظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: آخر أمر الكافرين الطاغين انظر ذلك بعين قلبك وتدبر فيه الخطاب له والمراد غيره.

MOSTAFAALADWY.COM

قصة نبي الله سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ

قَالَ اللهِ تعَالَى:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل: ١٥-١٩].

MOSTAFAABDO.COM

س: وضح معنى ما يلي:

﴿مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ - وَحُشِرَ - يُوزَعُونَ - لَا يَحْطِمَنَّكُمْ - أَوْزِعْنِيٓ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾	لغة الطير
﴿وَحُشِرَ﴾	جُمع
﴿يُوزَعُونَ﴾	يرد أوَّلهم لآخرهم وآخرهم لأولهم حتى يكونوا مجتمعين أو يكونون صفًّا واحدًا، وقيل: يُساقون، وقيل: يتقدمون
﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾	لا يكسرنكم
﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾	ألهمني

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾.

ج: هذا - والله أعلم - إخبارٌ من الله ﷻ بالذي منَّ به على داود وسليمان عليهما السلام، وبالذي أنعم به عليهما، وكيف وأنهما قابلا ذلك بالشكر وليس بالجحود والنكران، وهكذا كل من أنعم الله عليه يلزمه أن يقابل نعم الله بالشكر.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ والمراد النبوة وعلومها وسائر العلوم التي آتاهما الله إياها فمن ذلك ما ذكره في شأن داود عليه السلام: ﴿وَءَاتَىٰهُ

mostafalabib.com

ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢٠]، وقوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، وكذا ما علمه الله سليمان من القضاء والفهم فيه، وتعليمه لغة الطير وغير ذلك، فلما آتاهما ذلك قالا شاكرين لله الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ﴾ وذلك علم كلام الطير والدواب، وغير ذلك مما خصَّهم الله بعلمه. ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وقال داود وسليمان: الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به من العلم الذي آتاناه، دون سائر خَلْقه من بني آدم في زماننا هذا على كثير من عباده المؤمنين به في دهرنا هذا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عما أنعم به على عبديه ونبييه داود وابنه سليمان، عليهما من الله السلام، من النعم الجزيلة، والمواهب الجليلة، والصفات الجميلة، وما جمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة، والمُلْك والتمكين التام في الدنيا، والنبوة والرسالة في الدين؛ ولهذا قال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ﴾ أي: فهمًا قاله قتادة وقيل: علمًا بالدين والحكم وغيرهما كما قال: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٨٠] وقيل: صنعة الكيمياء وهو شاذّ وإنما الذي آتاهما الله النبوة والخلافة في

الأرض والزبور ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافة محله وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم وأن من أُوتيه فقد أُوتي فضلًا على كثير من عباد الله المؤمنين ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

❁ ❁ ❁

س: هل كان سليمان عليه السلام يفهم لغة الطير فقط؟

ج: الظاهر – والله أعلم – أنه كان يعلم لغة الحيوانات أيضًا، والدواب عمومًا بدليل فهمه للغة النمل على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

قال القرطبي رحمه الله:

قال ابن العربي: من قال إنه لا يعلم إلا منطق الطير فنقصان عظيم وقد اتفق الناس على أنه كان يفهم كلام من لا يتكلم ويخلق له فيه القول من النبات فكان كل نبت يقول له: أنا شجر كذا أنفع من كذا وأضر من كذا فما ظنك بالحيوان.

❁ ❁ ❁

س: كيف يجمع بين قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ وبين قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنَّا مَعشر الأَنبيَاء لَا نُورث»؟

ج: الجمع بأن يقال: إن سليمان إنما ورث العلم والنبوة، وليس المراد وراثة المال، ولو كان المراد وراثة المال ما ورثه سليمان وحده بل كان سيرثه عموم ورثته، والله أعلم، وسيأتي مزيدٌ من ذلك في أقوال المفسرين إن شاء الله.

قال القرطبي:

وقال ابن العربي: فلو كانت وراثة مال لانقسمت على العدد فخص الله

MOSTAFABDW.COM

سليمان بما كان لداود من الحكمة والنبوة وزاده من فضله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، قال ابن عطية: داود من بني إسرائيل وكان ملكًا وورث سليمان ملكه ومنزلته من النبوة – بمعنى: صار إليه ذلك بعد موت أبيه فسمي ميراثًا تجوزًا وهذا نحو قوله: «**العلماء ورثة الأنبياء**» ويحتمل قوله عليه السلام: «**إنا معشر الأنبياء لا نورث**» أن يريد أن ذلك من فعل الأنبياء وسيرتهم وإن كان فيهم من ورث ماله كزكرياء على أشهر الأقوال فيه، وهذا كما تقول: إنا معشر المسلمين إنما شغلتنا العبادة والمراد أن ذكر فعل الأكثر ومنه ما حكى سيبويه: إنا معشر العرب أقرى الناس للضيف.

قلت: قد تقدم هذا المعنى في (مريم) وأن الصحيح القول الأول لقوله عليه السلام: «**إنا معشر الأنبياء لا نورث**» فهو عامٌّ ولا يخرج منه شيء إلا بدليل.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – وورث نبي الله سليمان عليه السلام علم أبيه داود ونبوته عليه السلام وقال شاكرًا لله مُذكرًا بنعمه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾، أي: لغة الطير ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ من الخيرات وما تحتاج إليه وما يحتاجه الخلق في دنياهم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ﴾ المظهر لمن تأمله أننا ولله الحمد قد فُضلنا.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ﴾ أباه ﴿دَاوُۥدَ﴾ العلم الذي كان آتاه الله في حياته، والمُلك الذي كان خصَّه به على سائر قومه، فجعله له بعد أبيه داود دون سائر ولد أبيه ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ يقول: وقال سليمان

لقومه: يا أيها الناس عُلِّمنا منطق الطير، يعني: فهمنا كلامها؛ وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بني آدم إذ فهمه عنها.

وقوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يقول: وأعطينا ووهب لنا من كلّ شيء من الخيرات ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ يقول: إن هذا الذي أوتينا من الخيرات لهو الفضل على جميع أهل دهرنا المبين، يقول: الذي يبين لمن تأمَّله وتدبره أنه فَضْلٌ أعطيناه على من سوانا من الناس.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ أي: في الملك والنُّبوة، وليس المراد وراثَةَ المال؛ إذ لو كان كذلك لم يخصَّ سليمان وحده من بين سائر أولاد داود، فإنه قد كان لداود مائةُ امرأة. ولكن المراد بذلك وراثةُ الملك والنبوة؛ فإن الأنبياء لا تورث أموالهم، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ: «**نحن معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة**»(١).

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾، أي: أخبر سليمان بنعم الله عليه، فيما وهبه له من المُلْك التامِّ، والتمكين العظيم، حتى إنه سَخَّر له الإنس والجن والطير. وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضًا، وهذا شيء لم يُعطَه أحد من البشر -فيما علمناه -مما أخبر الله به ورسوله. وَمَنْ زعم من الجهلة والرّعاع أنّ الحيوانات كانت تنطق كنطق بني آدم قبل سليمان بن داود- كما يتفوه به كثير من الناس - فهو قولٌ بلا علم. ولو كان الأمر كذلك

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧١١، ٣٧١٢)، ومسلم (١٧٥٩)، ولفظه: «**ما تركنا فهو صدقة**»، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن أبي بكر مرفوعًا، وعن عائشة أيضًا مرفوعًا عند البخاري (٦٧٣٠)، ومسلم (١٧٥٨)، ومسلم (١٧٦١).

لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة؛ إذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم، ويعرف ما تقول، فليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا، بل لم تزل البهائم والطيور وسائر المخلوقات من وقت خُلقت إلى زماننا هذا على هذا الشكل والمنوال. ولكن الله - سبحانه وتعالى - كان قد أفهم سليمان عليه السلام ما يتخاطب به الطيور في الهواء، وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها؛ ولهذا قال: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: مما يحتاج إليه الملك، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ أي: الظاهر البيِّن لله علينا.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة هذا الحديث:

قال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن عمرو بن أبي عمرو، عن المطلب، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة، فكان إذا خرج أغلقت الأبواب، فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع**». قال: «**فخرج ذات يوم وأغلقت الأبواب، فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار، فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لِمَنْ في البيت: من أين دخل هذا الرجل، والدار مغلقة؟ والله لنفتضحن بداود، فجاء داود عليه السلام فإذا الرجل قائم وسط الدار، فقال له داود: مَنْ أنت؟ قال: الذي لا يهاب الملوك، ولا يمتنع من الحجاب، فقال داود: أنت والله إذًا ملك الموت. مرحبًا بأمر الله، فتزمل داود عليه السلام مكانه حتى قُبِضَت نفسه، حتى فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس، فقال سليمان عليه السلام للطير: أظلي على داود، فأظلت عليه الطير حتى أظلمت عليهما الأرض، فقال لها سليمان: اقبضي جناحًا جناحًا**» قال أبو هريرة: يا رسول الله، كيف فعلت الطير؟

فقبض رسول الله ﷺ يده، وغلبت عليه يومئذٍ المضرَحية[١].

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يُجمعون ويرتبون ويُرد أوَّلهم حتى لا يتقدم ويرفع آخرهم حتى لا يتأخر، أي: كي يكونون مجتمعين.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير في مسير لهم فهم يوزعون.

وأورد الطبري عدة أقوال: في معنى يوزعون.

منها: يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا (أي: يرد أولهم على آخرهم).

ومنها: يساقون.

ومنها: يتقدمون.

واختار الطبري قول من قال: معناه يرد أولهم على آخرهم.

قال: وذلك أن الوازع في كلام العرب هو الكافّ، يقال: وزع فلان فلانًا عن الظلم: إذا كفَّه عنه.

ثم قال: وإنما قيل للذين يدفعون الناس عن الولاة والأمراء: وزعة: لكفهم إياهم عنه.

---

(١) أحمد (٢/ ٤١٩)، وفي سنده ضعف للانقطاع بين المطلب وأبي هريرة فالمطلب بن عبد الله بن حنطب لم يسمع أبا هريرة.

MOSTAFAADEWY.COM

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقولـــه تعـــالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ أي: وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير يعني: ركب فيهم في أبهة وعظمة كبيرة في الإنس، وكانوا هم الذين يلونه، والجن وهم بعدهم في المنزلة، والطير ومنزلتها فوق رأسه، فإن كان حُرًّا أظلته منه بأجنحتها[1].

وقوله: ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ أي: يكفُّ أولهم على آخرهم؛ لئلا يتقدم أحد عن منزلته التي هي مرتبة له.

قال مجاهد: جعل على كل صنف وزعة، يردون أُولاها على أخراها؛ لئلا يتقدموا في المسير، كما يفعل الملوك اليوم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أن سليمان عليه السلام لما مرَّ مع جنوده في هذا الحشد الهائل العظيم من الجن والإنس والطير، مرَّ على وادي النمل فقالت نملة محذرةً قومها وبني جنسها: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم حفاظًا على حياتكم فقد يدمرنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون بكم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ ﴾ حتى إذا أتى سليمان وجنوده على وادي النمل ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾ يقول: لا يكسرنكم ويقتلنكم سليمان وجنوده ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

(١) قلت: وهذا الترتيب الذي ذكره لا أعلم دليلًا عليه.

MostafaBayoumy.com

يقول: وهم لا يعلمون أنهم يحطمونكم.

❁ ❁ ❁

س: في قول النملة: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ إشارة إلى أمرٍ مهمٍّ من أمور المعتقد وضحه.

ج: هذا الأمر حاصله أن سليمان عليه السلام ومن معه لا يعلمون الغيب، فمع أنه سخِّرت له الجن فإنه وكذا الجن الذين معه قد لا يشعرون بأن النمل سيهلك وأنهم سيحطمون النمل، فإذا كان الأمر كذلك فحريٌّ بهم ألا يعلموا الغيب. والله أعلم.

س: في قول النملة: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ إشارة إلى رأفة سليمان عليه السلام وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن سليمان عليه السلام لن يحطم النمل ومساكنهم عن عمدٍ وعن قصدٍ، إنما إن صُدِرَ ذلك منه فيكون عن عدم علم. ففيه إذن إشارة إلى رأفة سليمان عليه السلام بالحيوان.

قال القرطبي رحمه الله:

فقولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ التفاتة مؤمن أي: من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده لا يحطمون نملة فما فوقها إلا بألا يشعروا.

وقال رحمه الله:

وقولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ إشارة إلى الدين والعدل والرأفة ونظير قول النملة في جند سليمان: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قول الله تعالى في جند محمد ﷺ ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الفتح: ٢٥]. التفاتًا إلى أنهم لا يقصدون هدر مؤمن. إلا أن المثني على جند سليمان هي النملة بإذن الله تعالى، والمثني على جند محمد

MOSTAFAABDY.COM

ﷺ هو الله ﷻ بنفسه لما لجنود محمد ﷺ من الفضل على جند غيره من الأنبياء كما لمحمد ﷺ فضل على جميع النبيين ﷺ أجمعين.

س: هل كان لهذه النملة وصفٌ معينٌ تمتاز به عن سائر أنواع النمل؟

ج: لا أعلم لها وصفًا تمتاز به عن غيرها إنما هي أقوالٌ لبعض المفسرين لا مستند لها. من كتاب أو سنةٍ صحيحة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في النهي عن قتل النمل.

ج: من ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**قَرَصَت نبيًّا من الأنبياء نملة، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه، أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تُسَبِّح؟! فهلا نملة واحدة!**».

وفي الحديث الآخر: «نهى النبي ﷺ عن قتل النمل والنحل والهدهد والصُّرد»[(١)].

❁ ❁ ❁

س: في قول النملة: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ إشارة إلى حرص النملة على بني جنسها، فتفضل بذلك على كثير من بني آدم وضح ذلك.

ج: إيضاحه – والله أعلم – أن النملة حرصت على سلامة بني جنسها، في الوقت الذي يدمر البشر بعضهم بعضًا، ويبيد بعضهم بعضًا، ويترك بعضهم الآخر جائعًا، مع أنه أي الثري يملك ملايين الأطنان من القمح في البحار والمحيطات ويتركون إخوانهم يموتون جياعًا.

---

(١) مسلم (٢٢٤١)، وسنده صحيح، وقد أورده البعض في العلل بما لا يكاد يؤثر، انظر علل ابن أبي حاتم رقم (٢٣٧٤).

MOSTAFAADEL.COM

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن سليمان عليه السلام لما أفهمه الله عز وجل لغة النملة وقولها: تَبَسَّم تَبَسُّم الشاكر لله عز وجل الحامد له؛ إذ أعلمه قولها تَبَسَّم تَبَسُّم المسرور لحرصها على جنسها وتذكر نعمة الله عليه فطلب من الله عز وجل أن يعينه على شكر هذه النعم بقوله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ ألهمني يا رب شكر نعمتك التي أنعمت بها عليَّ وكذا نعمك التي أنعمت بها على والديَّ وألهمني أن أعمل عملًا صالحًا ترضاه وتتقبله وأدخلني برحمتك في عداد عبادك الصالحين وفي مدخل عبادك الصالحين، وهم الأنبياء والمرسلون والمؤمنون، ألا وهو جنات النعيم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فتبسم سليمان ضاحكًا من قول النملة التي قالت ما قالت، وقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ يعني بقوله: ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾: ألهمني.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قول الله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ قال: في كلام العرب، تقول: أوزع فلان بفلان، يقول: حرض عليه. وقال ابن زيد: ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾ ألهمني وحرّضني على أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ.

قال الطبري: وقوله: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ يقول: وأوزعني أن أعمل

MOSTAFALARBY.COM

بطاعتك وما ترضاه ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يقول: وأدخلني برحمتك مع عبادك الصالحين، الذين اخترتهم لرسالتك وانتخبتهم لوحيك، يقول: أدخلني من الجنة مداخلهم.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قال: مع عبادك الصالحين الأنبياء والمؤمنين.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾ أي: ألهمني أن أشكر نعمتك التي مننت بها عليَّ، من تعليمي منطق الطير والحيوان، وعلى والدي بالإسلام لك، والإيمان بك ﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾ أي: عملًا تحبه وترضاه، ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: إذا توفيتني فألحقني بالصالحين من عبادك، والرفيق الأعلى من أوليائك.

❁ ❁ ❁

س: هل من فائدة للتقييد بقوله: ﴿ضَاحِكًا﴾ عقب قوله: ﴿فَتَبَسَّمَ﴾؟

ج: أجاب على ذلك بعض العلماء بما حاصله أن التبسم قد يكون عن سعادةٍ وسرور، وقد يكون عن غضب، وقد يكون عن تعجب، وقد يكون عن سخرية، وقد صح عن النبي ﷺ في قصة كعب بن مالك، والثلاثة الذين خُلِّفوا، قال كعب: فتبسم النبي ﷺ تبسم المغضب[1]...

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

وقد قيل: إن تبسم سليمان سرور بهذه الكلمة منها ولذلك أكد التبسم بقوله: ﴿ضَاحِكًا﴾؛ إذ قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضًا، ألا تراهم يقولون تَبَسَّم تَبَسُّم الغضبان وتَبَسَّم تَبَسُّم المستهزئين وتبسم الضحك إنما هو عن سرور ولا يُسرُّ نبي بأمر دنيا وإنما سر بما كان من أمر الآخرة والدين.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

(وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾)

[النمل: ٢٠-٢٨].

MOSTAFALOVE.COM

س: وضح معنى ما يلي:

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ - بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ - فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ - أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ - سَبَإٍ - بِنَبَإٍ - يَقِينٍ - تَمْلِكُهُمْ - عَرْشٌ عَظِيمٌ - وَزَيَّنَ لَهُمُ - فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ - فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ - أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ - ٱلْخَبْءَ - رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ - سَنَنظُرُ - بِكِتَٰبِى - ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ - مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾	بحث عنهم – فتش في أمرهم – تفقد أحوالهم ومن الموجود ومن المتخلف الغائب
﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾	بحجة بينة – بعذر واضح جليّ
﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾	انتظر زمانًا ليس بالطويل
﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾	علمت أشياء لا تعلمها- أحطت علمًا بأمور لا تعلمها
﴿سَبَإٍ﴾	بلاد سبأ باليمن (عند مأرب)
﴿بِنَبَإٍ﴾	بخبر مؤكد
﴿يَقِينٍ﴾	يقيني
﴿تَمْلِكُهُمْ﴾	يعني: أنها ملكة عليهم
﴿عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾	سرير ملك عظيم
﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ﴾	حسَّن لهم
﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾	فصدهم عن طريق الحق

MOSTAFAALDAW.COM

﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾	لا يعرفون طريق الحق والصواب ولا يوقنون له
﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾	ألا يا هؤلاء اسجدوا – وقيل: إنه استفسار والله أعلم
﴿الْخَبْءَ﴾	الشيء المخفي المكنون كوقت نزول الغيث وكذا الغائب المكنون في الأرض
﴿تُخْفُونَ﴾	تسرون
﴿تُعْلِنُونَ﴾	تظهرون
﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾	صاحب العرش العظيم
﴿سَنَنْظُرُ﴾	سنبحث
﴿بِكِتَابِي﴾	برسالتي
﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾	فألقى عليهم
﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾	ثم تنح عنهم جانبًا – يعني: حتى يقرأ الرسالة – ابتعد عنهم
﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾	بماذا يردون؟

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – أن نبي الله سليمان عليه السلام تفقد الطير، نظر في أمرها وهل هي متواجدة أم لا؟ فقال: ما لي لا أرى الهدهد، أهو موجود ولكن بصري غفل عنه أم أنه غير موجود؟ ثم تهدده سليمان عليه السلام وتوعده

MOSTAFALADAWY.COM

بقوله: لأعذبنه عذابًا شديدًا، قال فريق من العلماء: وذلك بنتف ريشه أو لأذبحنه أو ليأتيني بحجة بيِّنة تبين سبب تغيبه.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ يعني بقوله: ﴿مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ أخطأه بصري فلا أراه وقد حضر أم هو غائب فيما غاب من سائر أجناس الخلق فلم يحضر؟

وقوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يقول: فلما أخبر سليمان عن الهدهد أنه لم يحضر، وأنه غائب غير شاهد، أقسم ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وكان تعذيبه الطير فيما ذُكر عنه إذا عذبها أن ينتف ريشها.

وقوله: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ يقول: أو ليأتيني بحجة تبين لسامعها صحتها وحقيقتها.

وأورد آثارًا متعددة عن ابن عباس وغيره في قوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وذلك بنتف ريشه، أما السلطان المبين أي: بحجةٍ له فيها عذرٌ بَيِّن.

❁ ❁ ❁

س: لماذا بحث سليمان عليه السلام عن الهدهد خاصة؟

ج: أورد الطبري هذا السؤال وأجاب عليه بقوله:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَتَفَقَّدَ﴾ سليمان ﴿ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾.

وكان سبب تفقده الطير وسؤاله عن الهدهد خاصة من بين الطير، ما:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت عمران عن أبي مجلز، قال: جلس ابن عباس إلى عبد الله بن سلام، فسأله عن الهدهد: لم تفقَّده سليمان من بين الطير؟ فقال عبد الله بن سلام: إن سليمان

MOSTAFALADY.COM

نزل منزلة في مسير له، فلم يدر ما بُعْد الماء، فقال: من يعلم بُعْد الماء؟ قالوا: الهدهد، فذاك حين تفقده.

قلت: وإسناده صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

وأورد الطبري له شاهدًا آخر:

عن ابن عباس، قال: كان سليمان بن داود يوضع له ستّ مائة كرسي، ثم يجيء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه، ثم تجيء أشراف الجن فيجلسون مما يلي الإنس قال: ثم يدعو الطير فتظلهم، ثم يدعو الريح فتحملهم، قال: فيسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر، قال: فبينا هو في مسيره؛ إذ احتاج إلى الماء وهو في فلاة من الأرض، قال: فدعا الهدهد، فجاءه فنقر الأرض، فيصيب موضع الماء، قال: ثم تجيء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الإهاب، قال: ثم يستخرجون الماء. فقال له نافع بن الأزرق: قف يا وقاف، أرأيت قولك الهدهد يجيء فينقر الأرض، فيصيب الماء، كيف يبصر هذا، ولا يبصر الفخّ يجيء حتى يقع في عنقه؟ قال: فقال له ابن عباس: ويحك إن القدر إذا جاء حال دون البصر.

وسنده صحيح إلى ابن عباس أيضًا.

وأورد الطبري وجهًا آخر عن وهب بن منبه فقال: وقال وهب بن منبه: كان تفقده إياه وسؤاله عنه لإخلاله بالنوبة التي كان ينوبها، والله أعلم بأي ذلك كان؛ إذ لم يأتنا بأيّ ذلك كان تنزيل، ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح.

فالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن سليمان أنه تفقد الطير؛ إما للنوبة التي كانت عليها وأخلت بها، وإما لحاجة كانت إليها عن بُعد الماء.

قال السعدي رحمه الله (تيسير الكريم الرحمن):

MostafaBadr.com

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ دل هذا على كمال عزمه وحزمه وحسن تنظيمه لجنوده وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار، حتى إنه لم يهمل هذا الأمر وهو تفقد الطيور والنظر: هل هي موجودة كلها أم مفقود منها شيء؟ وهذا هو المعنى للآية.

وقال السعدي منتقدًا قول من قال: إن سليمان عليه السلام طلب الهدهد ليدله على مكان الماء.

ولم يصنع شيئًا من قال: إنه تفقد الطير لينظر أين الهدهد منها ليدله على بعد الماء وقربه، كما زعموا عن الهدهد أنه يبصر الماء تحت الأرض الكثيفة، فإن هذا القول لا يدل عليه دليل بل الدليل العقلي واللفظي دالٌّ على بطلانه، أما العقلي فإنه قد عرف بالعادة والتجارب والمشاهدات أن هذه الحيوانات كلها ليس منها شيء يبصر هذا البصر الخارق للعادة، وينظر الماء تحت الأرض الكثيفة، ولو كان كذلك لذكره الله لأنه من أكبر الآيات.

وأما الدليل اللفظي فلو أريد هذا المعنى لقال: «وطلب الهدهد لينظر له الماء فلما فقده قال ما قال» أو «فتش عن الهدهد» أو: «بحث عنه» ونحو ذلك من العبارات، وإنما تفقد الطير لينظر الحاضر منها والغائب ولزومها للمراكز والمواضع التي عينها لها. وأيضًا فإن سليمان عليه السلام لا يحتاج ولا يضطر إلى الماء بحيث يحتاج لهندسة الهدهد، فإن عنده من الشياطين والعفاريت ما يحفرون له الماء، ولو بلغ في العمق ما بلغ. وسخر الله له الريح غدوها شهر ورواحها شهر، فكيف -مع ذلك- يحتاج إلى الهدهد؟!!

وهذه التفاسير التي توجد وتشتهر بها أقوال لا يعرف غيرها، تنقل هذه الأقوال عن بني إسرائيل مجردة ويغفل الناقل عن مناقضتها للمعاني الصحيحة

Mostafalabw.com

وتطبيقها على الأقوال، ثم لا تزال تتناقل وينقلها المتأخر مسلمًا للمتقدم حتى يظن أنها الحق، فيقع من الأقوال الردية في التفاسير ما يقع، واللبيب الفطن يعرف أن هذا القرآن الكريم العربي المبين الذي خاطب الله به الخلق كلهم عالمهم وجاهلهم وأمرهم بالتفكر في معانيه، وتطبيقها على ألفاظه العربية المعروفة المعاني التي لا تجهلها العرب العرباء، وإذا وجد أقوالًا منقولة عن غير رسول الله ﷺ ردها إلى هذا الأصل، فإن وافقته قبلها لكون اللفظ دالًّا عليها، وإن خالفته لفظًا ومعنًى أو لفظًا أو معنًى ردها وجزم ببطلانها؛ لأن عنده أصلًا معلومًا مناقضًا لها وهو ما يعرفه من معنى الكلام ودلالته.

وقال السعدي أيضًا:

والشاهد أن تفقد سليمان عليه السلام للطير، وفقده الهدهد يدل على كمال حزمه وتدبيره للملك بنفسه وكمال فطنته حتى فقد هذا الطائر الصغير ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ أي: هل عدم رؤيتي إياه لقلة فطنتي به لكونه خفيًّا بين هذه الأمم الكثيرة؟ أم على بابها بأن كان غائبًا من غير إذني ولا أمري؟

فحينئذٍ تغيَّظ عليه وتوعده فقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ دون القتل.

❁ ❁ ❁

س: في قوله: ﴿فَمَكَّثَ﴾ قراءتان وضحهما.

ج: الأولى: فمكُث بضم الكاف.

والثانية: فمكَث بفتح الكاف.

❁ ❁ ❁

MostafaDowr.com

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم– أن الهدهد أقام زمنًا قصيرًا ليس طويلًا فجاء قائلًا لسليمان عليه السلام: أحطت بعلم لا تعلمه وجئتك من سبإ بخبر يقين، خبر مؤكد.

وقال بعض العلماء: إن قوله: ﴿ فَمَكَثَ ﴾ عائد على سليمان عليه السلام، والمعنى قريب، والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ فمكث سليمان غير طويل من حين سأل عن الهدهد، حتى جاء الهدهد.

وقوله: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾ يقول: فقال الهدهد حين سأله سليمان عن تخلفه وغَيبته: أحطت بعلم ما لم تحط به أنت يا سليمان.

وقوله: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ يقول: وجئتك من سبإ بخبر يقين.

وقال ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: ﴿ فَمَكَثَ ﴾ الهدهد ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ أي: غاب زمانًا يسيرًا، ثم جاء فقال لسليمان: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾ أي: اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك، ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ أي: بخبر صدق حق يقين. وسبأ: هم: حِمْير، وهم ملوك اليمن.

وقال القرطبي رحمه الله:

والضمير في (مكث) يحتمل أن يكون لسليمان والمعنى: بقي سليمان بعد التفقد والوعيد غير طويل أي غير وقت طويل ويحتمل أن يكون للهدهد وهو

mostafabdw.com

الأكثر فجاء: ﴿ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾ وهي:

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

ج: معناه – والله تعالى أعلم – أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام مبيِّنًا عذره في التأخر والتخلف: إني وجدت امرأةً تملك قوم سبإٍ هي الملكة عليهم وآتاها الله ﷻ من كل شيء يحتاج إليه الملوك ويحتاج إليه الناس في دنياهم، ولها سرير ملكٍ تجلس عليه عظيم الشأن، وقد وجدتها – مع هذا النعيم الذي هي فيه – هي وقومها يعبدون غير الله، إنهم يسجدون للشمس من دون الله، وحسَّن لهم الشيطان أعمالهم وزيَّنها في نفوسهم وقلوبهم فصرفهم بهذا التزيين عن طريق الله ومرضاته فهم لا يهتدون إلى طريق الحق ولا إلى طريق الثواب.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى مخبرًا عن قيل الهدهد لسليمان مخبرًا بعذره في مغيبه عنه: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ يعني: تملك سبأ، وإنما صار هذا الخبر للهدهد عذرًا وحجة عند سليمان، درأ به عنه ما كان أُوعد به؛ لأن سليمان كان لا يرى أن في الأرض أحدًا له مملكة معه، وكان مع ذلك ﷺ رجلًا حُبِّب إليه الجهاد والغزو، فلما دلَّه الهدهد على مُلْك بموضع من الأرض هو لغيره، وقوم كفرة يعبدون غير الله، له في جهادهم وغزوهم الأجر الجزيل، والثواب العظيم في الآجل، وضمّ مملكة لغيره إلى ملكه، حقَّت للهدهد المعذرة، وصحّت له

MOSTAFAMOBY.COM

الحجة في مغيبه عن سليمان.

وقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يقول: وأوتيت من كلّ شيء يؤتاه الملك في عاجل الدنيا مما يكون عندهم من العتاد والآلة.

وقوله: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ يقول: ولها كرسي عظيم. وعني بالعظيم في هذا الموضع: العظيم في قدره، وعظم خطره، لا عظمه في الكبر والسعة.

وقوله: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ يقول: وجدت هذه المرأة ملكة سبأ، وقومها من سبإٍ، يسجدون للشمس فيعبدونها من دون الله. وقوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ يقول: وحسَّن لهم إبليس عبادتهم الشمس، وسجودهم لها من دون الله، وحبَّب ذلك إليهم ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ يقول: فمنعهم بتزيينه ذلك لهم أن يتبعوا الطريق المستقيم، وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه، ومعناه: فصدّهم عن سبيل الحقّ ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ يقول: فهم لما قد زيَّن لهم الشيطان ما زين من السجود للشمس من دون الله والكفر به لا يهتدون لسبيل الحقّ ولا يسلكونه، ولكنهم في ضلالهم الذي هم فيه يتردّدون.

وأورد الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ أقوالًا غريبةً لا أرتضيها، وليس عليها مستند كقول قتادة كانت أمُّها جنية إلى آخر ما قال فأضربت عنه عمدًا، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الحسن البصري: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ وهي بلقيس بنت شَرَاحيل ملكة سبأ.

قلت (مصطفى): وكذا قال غير واحدٍ من أهل العلم أن اسمها بلقيس، ولم أقف على خبرٍ عن رسول الله ﷺ يؤيد ذلك ولا ينفيه. وهذا، وقد قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: من متاع الدنيا ما يحتاج إليه الملك

المتمكن، ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ يعني: سرير تجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب، وأنواع الجواهر واللآلئ.

قال علماء التاريخ: وكان هذا السرير في قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم، كان فيه ثلاثمائة وستون طاقة من شرقه ومثلها من غربه، قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة، وتغرب من مقابلتها، فيسجدون لها صباحًا ومساءً؛ ولهذا قال: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ أي: عن طريق الحق، ﴿ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ لما قال الهدهد: ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ قال سليمان: وما ذلك الخبر؟ قال: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ يعني: بلقيس بنت شراحيل تملك أهل سبأ ويقال: كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطِّه وبين بلدها قريبة وهي من مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب؟ والجواب أن الله تعالى أخفى ذلك عنه لمصلحة كما أخفى على يعقوب مكان يوسف.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ مبالغة أي: مما تحتاجه المملكة. وقيل: المعنى أوتيت من كل شيء في زمانها شيئًا فحذف المفعول لأن الكلام دل عليه ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ أي: سرير، ووصفه بالعظم في الهيئة ورتبة السلطان قيل: كان من ذهب تجلس عليه، وقيل: العرش هنا الملك والأول أصح؛ لقوله تعالى: ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ [النمل: ٣٨] الزمخشري: فإن قلت

كيف سوَّى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظيم ؟ قلت: بين الوصفين بَوْنٌ عظيم لأن وصف عرشها بالعظيم تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة إلى ما خلق من السموات والأرض.

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت شيء عن رسول الله ﷺ يُفيد أن ملكة سبأ كانت أمها من الجن؟

ج: لم أقف على أي شيء ثابت عن رسول الله ﷺ يفيد ذلك. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت أن النبي ﷺ قال: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً»؟ وما مناسبة ذلك؟ يُرجى إلقاء بعض الضوء على معناه؟

ج: نعم ثبت ذلك في البخاري، وكذا مناسبته ففي البخاري من حديث أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: لَقَدْ نَفَعَنِي اللهُ بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَيَّامَ الْجَمَلِ بَعْدَ مَا كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ؟ قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى قَالَ: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**»[1].

❁ ❁ ❁

المرأة والعمل بالقضاء

س: هل يجوز أن تعمل المرأة قاضية؟

---

(١) البخاري (٤٤٢٥).

ج: أما كونها تقضي بين الرجال كعمل دائم لها فهذا مما لا أعلم له مستندًا عن رسول الله ﷺ، ثم إن الصحابة والتابعين لم يظهر فيهم ذلك، ولا أتباع التابعين، والله أعلم.

ثم إن النساء ناقصات عقلٍ ودينٍ كما قال النبي محمد ﷺ.

ثم إن الفتنة من وراء عملها متأتية من دخول الرجال عليها وكلامهم المستمر معها إلى غير ذلك من الفتنة.

فضلًا عن كونه يُمكن الاستئناس بقوله ﷺ: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**»[1]. وعمل الصحابة، فمن بعدهم بمقتضاه، وعدم اتخاذهم قاضية من النساء ما يدل على المنع، والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

روى البخاري من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ لما بلغه أن أهل فارس قد ملكوا بنت كسرى قال: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**»[2] قال القاضي أبو بكر بن العربي: هذا نصٌّ في أن المرأة لا تكون خليفة ولا خلاف فيه ونقل عن محمد بن جرير الطبري أنه يجوز أن تكون المرأة قاضية ولم يصح ذلك عنه ولعله نقل عنه كما نقل عن أبي حنيفة أنها إنما تقضي فيما تشهد فيه وليس بأن تكون قاضية على الإطلاق ولا بأن يُكتب لها مسطور بأن فُلانة مقدمة على الحكم وإنما سبيل ذلك التحكيم والاستنابة في القضية الواحدة وهذا هو الظن بأبي حنيفة و ابن جرير وقد روي عن عمر أنه قدم امرأة على حسبة السوق ولم يصح فلا تلتفتوا إليه فإنما هو من دسائس المبتدعة في الأحاديث

(١) تقدم.

(٢) تقدم من حديث أبي بكرة عند البخاري.

وقد تناظر في هذه المسألة القاضي أبو بكر ابن الطيب المالكي الأشعري مع أبي الفرج ابن طرار شيخ الشافعية، فقال أبو الفرج: الدليل على أن المرأة يجوز أن تحكم أن الغرض من الأحكام تنفيذ القاضي لها وسماع البينة عليها والفصل بين الخصوم فيها وذلك ممكن من المرأة كإمكانه من الرجل فاعترض عليه القاضي أبو بكر ونقض كلامه بالإمامة الكبرى فإن الغرض منه حفظ الثغور وتدبير الأمور وحماية البيضة وقبض الخراج ورده على مستحقه وذلك لا يتأتى من المرأة كتأتيه من الرجل. قال ابن العربي: وليس كلام الشيخين في هذه المسألة بشيء فإن المرأة لا يتأتى منها أن تبرز إلى المجلس ولا تخالط الرجال ولا تفوضهم مفاوضة النظير للنظير لأنها إن كانت فتاة حَرُمَ النظر إليها وكلامها وإن كانت برزة لم يجمعها والرجال مجلس واحد تزدحم فيه معهم وتكون مناظرة لهم ولن يفلح قطُّ من تصور هذا ولا من اعتقده.

س: في قوله تعالى: ﴿أَلَّا﴾ قراءتان وضحهما مع بيان معنييهما.

ج: القراءة الأولى: أَلَا بالتخفيف والمعنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا لله.

والقراءة الثانية: أَلَّا بالتشديد، والمعنى متعلق بما قبله، ألا وهو وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله أي وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم كي لا يسجدوا لله. والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

اختلف القرّاء في قراءة قوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ فقرأ بعض المكيين وبعض المدنيين والكوفيين «ألا» بالتخفيف، بمعنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا، فأضمروا «هؤلاء» اكتفاء بدلالة «يا» عليها. وذكر بعضهم سماعًا من العرب: ألا يا ارحمنا، ألا يا تصدّق علينا؛ واستشهد أيضا ببيت الأخطل:

ألا يا اسْلَمي يا هِنْدَ هنْدَ بَنِي بَدرٍ وَإنْ كان حَيَّانا عِدًا آخِرَ الدَّهْر

فعلى هذه القراءة اسجدوا في هذا الموضع جزم، ولا موضع لقوله: «ألا» في الإعراب. وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة والبصرة ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ بتشديد ألا بمعنى: وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله ﴿أَلَّا﴾ في موضع نصب لما ذكرت من معناه أنه لئلا (ويسجدوا) في موضع نصب بأن.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القراء مع صحة معنييهما.

❁ ❁ ❁

س: هل عند قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ...﴾ الآية سجدة؟

ج: نعم عندها سجدةٌ عند جماهير أهل العلم، بل نُقل الإجماع على ذلك، وممن نقل الإجماع الطحاوي في شرح معاني الآثار[1]، ولكن اختلفوا في موضع السجود هل عند قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، أما عقب قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ على قولين قويين لأهل العلم في ذلك. والأمر في ذلك واسع ولله الحمد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم – أن الهدهد تعجب من سجود القوم لغير الله – سبحانه وتعالى – تعجب من سجودهم للشمس فقال: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ﴾

(١) شرح معاني الآثار (١/ ٣٥٩).

الشيء المخبوء في السموات، ومنه الغيث (الماء) والمخبوء من الأرض وهو النبات، والماء أيضًا، وكل مخبوءٍ، ويعلم ما أسررنا به من النوايا والأقوال والأعمال، وما أظهرناه من ذلك، إنه الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

ويعني بقوله: ﴿يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ يخرج المخبوء في السموات والأرض من غيث في السماء، ونبات في الأرض ونحو ذلك.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد: في قوله: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: خبء السماء والأرض ما جعل الله فيها من الأرزاق، والمطر من السماء، والنبات من الأرض، كانتا رتقا لا تمطر هذه، ولا تنبت هذه، ففتق السماء، وأنزل منها المطر، وأخرج النبات.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقيل: يخرج الخبء في السموات والأرض؛ لأن العرب تضع «من» مكان «في» و«في» مكان «من» في الاستخراج ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ يقول: ويعلم السرّ من أمور خلقه، هؤلاء الذين زين لهم الشيطان أعمالهم والعلانية منها، وذلك على قراءة من قرأ ﴿أَلَّا﴾ بالتشديد. وأما على قراءة من قرأ بالتخفيف فإن معناه: ويعلم ما يسره خلقه الذين أمرهم بالسجود بقوله: «ألا يا هؤلاء اسجدوا». وقد ذكر أن ذلك في قراءة أُبيّ: (**ألا تَسْجُدُوا لِلهِ الَّذِي يَعْلَمُ سرَّكُمْ وما تُعْلِنُون**).

وقوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقول تعالى ذكره: الله الذي لا تصلح العبادة إلا له، لا إله إلا هو، لا معبود سواه تصلح له العبادة، فأخلصوا له العبادة،

Nosrafalaqwr.com

وأفردوه بالطاعة، ولا تشركوا به شيئًا ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ يعني بذلك: مالك العرش العظيم، الذي كل عرش وإن عظم، فدونه لا يُشبهه عرش ملكة سبأ ولا غيره.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد؛ في قوله: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ هذا كله كلام الهدهد.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من شيء من الكواكب وغيرها، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وقرأ بعض القراء: «ألا يا اسجدوا لله» جعلها «ألا» الاستفتاحية، و«يا» للنداء، وحذف المنادى، تقديره عنده: «ألا يا قوم، اسجدوا لله».

وقوله: ﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: يعلم كل خبيئة في السماء والأرض.

وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ أي: يعلم ما يخفيه العباد، وما يعلنونه من الأقوال والأفعال. وهذا كقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠].

وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: هو المدعو الله، وهو الذي لا إله إلا هو ربُّ العرش العظيم، الذي ليس في المخلوقات أعظم منه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

Nostrilabiy.com

ولما كان الهدهد داعيًا إلى الخير، وعبادة الله وحده والسجود له، نُهِي عن قتله، كما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: نهى النبي ﷺ عن قتل أربع من الدواب: النملة والنحلة والهدهد والصُّرَد. وإسناده صحيح[1].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ قال للهدهد لما أخبره عن سبب تغيّبه: قال: سننظر في خبرك واعتذارك هل أنت صادق فيما نقلت من أخبارٍ معتذرًا بها أم لا، وللتأكد من ذلك اذهب برسالتي هذه فألقها عليها ثم تنحَّى جانبًا - وهذا من أدب الرسول الذي يرسله شخص يتنحى عن المرسل إليه حتى ينظر في أمره بدقة، ثم يعيد الجواب - فانظر ما الردُّ الذي سيردون به، وقيل: إن في الجزء الأخير من الآية تقديمًا وتأخيرًا، والمعنى: فألقه إليهم فانظر ما ردهم، ثم تولَّ عنهم راجعًا إلينا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿قَالَ﴾ سليمان للهدهد: ﴿سَنَنظُرُ﴾ فيما اعتذرت به من العذر، واحتججت به من الحُجَّة لغيبتك عنا، وفيما جئتنا به من الخبر ﴿أَصَدَقْتَ﴾ في ذلك كله ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيه ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

(١) سنن أبي داود (٥٢٦٧)، وأحمد (١/ ٣٣٢)، وابن ماجه (٣٢٢٣، ٣٢٢٤).

MOSTAFA ADAWY.COM

فاختلف أهل التأويل في تأويل ذلك؛ فقال بعضهم: معناه: اذهب بكتابي هذا، فألقه إليهم، فانظر ماذا يَرْجِعونَ، ثم تول عنهم منصرفًا إليّ، فقال: هو من المؤخَّر الذي معناه التقديم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد: فأجابه سليمان، يعني: أجاب الهدهد لما فرغ: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ وانظر ماذا يرجعون، ثم تولَّ عنهم منصرفًا إليَّ. وقال: وكانت لها كوّة مستقبلة الشمس، ساعة تطلع الشمس تطلع فيها فتسجد لها، فجاء الهدهد حتى وقع فيها فسدَّها، واستبطأت الشمس، فقامت تنظر، فرمى بالصحيفة إليها من تحت جناحه، وطار حتى قامت تنظر الشمس.

قال الطبري: فهذا القول من قول ابن زيد يدلّ على أن الهدهد تولى إلى سليمان راجعًا بعد إلقائه الكتاب، وأن نظره إلى المرأة ما الذي ترجع وتفعل كان قبل إلقائه كتاب سليمان إليها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم، ثم تولّ عنهم، فكن قريبًا منهم، وانظر ماذا يرجعون؛ قالوا: وفعل الهدهد، وسمع مراجعة المرأة أهل مملكتها، وقولها لهم: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ وما بعد ذلك من مراجعة بعضهم بعضًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن قيل سليمان عليه السلام للهدهد حين أخبره عن أهل سبإ وملكتهم: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: أصدقت في إخبارك هذا، ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في مقالتك، فتتخلص من الوعيد الذي أوعدتك؟

Mostafa Abbas.com

﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾: وذلك أن سليمان عليه السلام كتب كتابًا إلى بلقيس وقومها. وأعطاه لذلك الهدهد فحمله، قيل: في جناحه كما هو عادة الطير، وقيل: بمنقاره. وذهب إلى بلادهم فجاء إلى قصر بلقيس، إلى الخلوة التي كانت تختلي فيها بنفسها، فألقاه إليها من كُوّة هنالك بين يديها، ثم تولى ناحية أدبًا ورياسة، فتحيرت مما رأت، وهالها ذلك.

وقال القرطبي رحمه الله:

﴿ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ دليل على أن الإمام يجب عليه أن يقبل عذر رعيته ويدرأ العقوبة عنهم في ظاهر أحوالهم بباطن أعذارهم لأن سليمان لم يعاقب الهدهد حين اعتذر إليه وإنما صار صدق الهدهد عذرًا؛ لأنه أخبر بما يقتضي الجهاد وكان سليمان عليه السلام حُبِّب إليه الجهاد وفي الصحيح: «**ليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل**» وقد قبل عمر عذر النعمان بن عدي ولم يعاقبه ولكن للإمام أن يمتحن ذلك إذا تعلق به حكم من أحكام الشريعة كما فعل سليمان فإنه لما قال الهدهد: ﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ لم يستفزه الطمع ولا استجره حبُّ الزيادة في الملك إلى أن يعرض له حتى قال: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ فغاظه حينئذٍ ما سمع وطلب الانتهاء إلى ما أخبر وتحصيل علم ما غاب عنه من ذلك فقال: ﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ ونحو منه ما رواه الصحيح عن المسور بن مخرمة حين استشار عمر الناس في إملاص المرأة وهي التي يضرب بطنها فتلقي جنينها فقال المغيرة بن شعبة: شهدت النبي ﷺ قضى فيه بغرة عبد أو أمةً قال: فقال عمر: ايتني بمن يشهد معك قال:

فشهد له محمد بن مسلمة وفي رواية فقال: لا تبرح حتى تأتي بالمخرج من ذلك فخرجت فوجدت محمد بن سلمة فجئت به فشهد ونحوه حديث أبي موسى في الاستئذان وغيره.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في هذه الآية دليل على إرسال الكتب إلى المشركين وتبليغهم الدعوة ودعائهم إلى الإسلام وقد كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر وإلى كل جبار كما تقدم في (آل عمران).

وقال: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أمره بالتولي حسن أدب ليتنحى حسب ما يتأدب به مع الملوك بمعنى: وكن قريبًا حتى ترى مراجعتهم قاله وهب بن منبه. وقال ابن زيد: أمره بالتولي بمعنى الرجوع إليه. أي: ألقه وارجع. قال: وقوله: ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ في معنى التقديم على قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾ واتساق رتبة الكلام أظهر أي: ألقه ثم تولَّ وفي خلال ذلك فانظر أي: انتظر وقيل: فاعلم كقوله: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠] أي: اعلم ماذا يرجعون؟ أي: يجيبون، وماذا يردون من القول؟ وقيل: ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ يتراجعون بينهم من الكلام.

Mostafa Adawy.com

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

(قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ
الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا
كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ
فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ
أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ
الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ
أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً
وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ
عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي
عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ
هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ
رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾
فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا
مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ
حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي
ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾) [النمل: ٢٩-٤٤].

Mostafa Adly.com

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلْمَلَؤُا - أُلْقِيَ إِلَيَّ - كِتَٰبٌ كَرِيمٌ - أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ - مُسْلِمِينَ - أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي - قَاطِعَةً أَمْرًا - تَشْهَدُونِ - أُولُوا قُوَّةٍ - وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ - مَاذَا تَأْمُرِينَ - أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ - أَذِلَّةً - فَنَاظِرَةٌ - أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ - لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا - صَٰغِرُونَ - بِعَرْشِهَا - عِفْرِيتٌ - ءَانِيكَ بِهِۦ - طَرْفُكَ - مُسْتَقِرًّا - نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا - أَنَهْتَدِيٓ - وَصَدَّهَا - ٱلصَّرْحَ - لُجَّةً - مُمَرَّدٌ - قَوَارِيرَ - وَأَسْلَمْتُ﴾.

ج

الكلمة	معناها
﴿ٱلْمَلَؤُا﴾	أشراف القوم – علية القوم ووجهاؤهم
﴿أُلْقِيَ إِلَيَّ﴾	ألقى الهُدهد عليَّ
﴿كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾	رسالة كريمة مختومة بختم الملوك فيها بسم الله الرحمن الرحيم
﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ﴾	ألا تتكبروا على أمري – لا تتعالوا عليَّ ولا تمتنعوا من امتثال ما أمرتكم به
﴿مُسْلِمِينَ﴾	مستسلمين خاضعين
﴿أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي﴾	أشيروا عليَّ فيما أسألكم عنه
﴿قَاطِعَةً أَمْرًا﴾	مُبرمةً أمرًا – متخذة قرارًا – مُصدرة أمرًا
﴿تَشْهَدُونِ﴾	تحضروني وتُقروني
﴿أُولُوا قُوَّةٍ﴾	أقوياء
﴿وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾	عند جلادة وقوة في الحرب شديدة نُنَكِّل بأعدائنا

MostafaLaw.com

﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾	ما الذي تشيرين به؟
﴿أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ﴾	الوجهاء والأثرياء فيها
﴿أَذِلَّةً﴾	جمع ذليل – ذليلين
﴿فَنَاظِرَةٌ﴾	منتظرة
﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾	أتعطونني مالًا – أتزيدونني مالًا
﴿لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾	لا طاقة لهم بها – لم يعهدوا مثلها من قبل ولم يروا مثلها من قبل
﴿صَٰغِرُونَ﴾	أذلاء
﴿بِعَرْشِهَا﴾	بسرير ملكها
﴿عِفْرِيتٌ﴾	مارِدٌ – رئيس – كبير من كبرائهم
﴿ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾	أُحضره لك
﴿طَرْفُكَ﴾	بصرك
﴿مُسْتَقِرًّا﴾	ثابتًا أمامه قد جيء به
﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾	غيروا لها بعض ملامح سرير ملكها (زيدوا فيه وانقصوا منه)
﴿أَتَهْتَدِىٓ﴾	أتفهم وجه الصواب أم لا – أتعرف عرشها وتهتدي إليه أم لا؟
﴿وَصَدَّهَا﴾	منعها (من الإيمان)

MOSTAFAALAWY.COM

﴿ٱلصَّرۡحَ﴾	المكان المتسع الذي أمام القصر أو أمام المبنى عمومًا
﴿لُجَّةً﴾	موج عاتي من موج البحر – موجٌ شديدٌ – بحرٌ عميق
﴿مُّمَرَّدٞ﴾	مُملس
﴿قَوَارِيرَا۠﴾	زجاج
﴿وَأَسۡلَمۡتُ﴾	دخلت في دين الإسلام مستسلمةً لأمر الله ﷻ

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – أن الهدهد لما ألقى الرسالة على ملكة سبأ تناولتها واطلعت على ما فيها فقالت لأشراف قومها يا أيها الملأ! إني أُلقي إليَّ كتاب كريم، مكتوب فيه إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، ألا تتكبروا عليَّ وأتوني مستسلمين طائعين خاضعين لله مُقرِّين له بالوحدانية وأنه لا شريك له.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فذهب الهدهد بكتاب سليمان إليها، فألقاه إليها فلما قرأته قالت لقومها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾.

وقال:

وقوله: ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ والملأ أشراف قومها، يقول تعالى

MostafaLabwy.com

ذكره: قالت ملكة سبأ لأشراف قومها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾.

واختلف أهل العلم في سبب وصفها الكتاب بالكريم، فقال بعضهم: وصفته بذلك لأنه كان مختومًا.

وقال آخرون: وصفته بذلك لأنه كان من ملك فوصفته بالكرم لكرم صاحبه. وممن قال ذلك ابن زيد.

وأورد بسندٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ قال: هو كتاب سليمان حيث كتب إليها.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ كُسِرت إنَّ الأولى والثانية على الردّ على «إني» من قوله: ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾. ومعنى الكلام: قالت: يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب، وإنه من سليمان.

وقوله: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ يقول: ألقي إليّ كتاب كريم ألا تعلوا عليّ.

ففي «أنْ» وجهان من العربية: إن جعلت بدلًا من الكتاب كانت رفعًا بما رفع به الكتاب بدلًا منه؛ وإن جعل معنى الكلام: إني أُلقي إليّ كتاب كريم ألا تعلوا عليَّ كانت نصبًا بتعلق الكتاب بها.

وعني بقوله: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾ ألا تتكبروا ولا تتعاظموا عما دعوتكم إليه.

وأورد الطبري بسندٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾ ألا تمتنعوا من الذي دعوتكم إليه إن امتنعتم جاهدتكم، فقلت لابن زيد: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾ ألا تتكبروا عليَّ؟ قال: نعم؛ قال: وقال ابن زيد: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ ذلك في كتاب سليمان إليها.

Nosrfaalaw.com

قال الطبري: وقوله: ﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ يقول: وأقبلوا إليّ مذعنين لله بالوحدانية والطاعة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم عمدت إلى الكتاب فأخذته، ففتحت ختمه وقرأته، فإذا فيه: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ فجمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها وكبراء دولتها ومملكتها، ثم قالت لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّيٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ تعني بكرمه: ما رأته من عجيب أمره، كون طائر أتى به فألقاه إليها، ثم تولى عنها أدبًا. وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك، ولا سبيل لهم إلى ذلك، ثم قرأته عليهم.

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾. فعرفوا أنه من نبي الله سليمان، وأنه لا قبل لهم به. وهذا الكتاب في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة، فإنه حَصّل المعنى بأيسر عبارة وأحسنها، قال العلماء: ولم يكتب أحد ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قبل سليمان عليه السلام.

❁ ❁ ❁

س: في رسالة سليمان عليه السلام إلى ملكة سبإٍ ما يفيد تواضع الأنبياء عليهم السلام، وضِّح ذلك.

ج: إيضاحه أن سليمان عليه السلام في رسالة قال: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ لم يقل من النبي الملك الذي سُخِّرت له الريح والجن والإنس والطير إلى غير ذلك، ولكن بكل تواضع ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ ونحوه قول الرسول ﷺ: «مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ

اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ»[1] ونحوه قول يوسف عليه السلام: ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى﴾ [يوسف: ٩٠].

❁ ❁ ❁

س: لماذا وُصف هذا الكتاب بأنه كريم؟

ج: قيل: لأنه كان مختومًا.

وقيل: لأنه كان من ملك.

وقيل: لأنها قرأت فيه ما لم تقرأه في غيره ولمست فيه من التواضع والإخلاص لله ما لم تلمسه من غيره وما لم تقرأه في غيره.

قال القرطبي رحمه الله:

وقيل: توهمت أنه كتاب جاء من السماء إذا كان الموصل طيرًا. وقيل: ﴿كَرِيمٍ﴾ حسن كقوله: ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٥٨] أي: مجلس حسن، وقيل: وصفته بذلك لما تضمن من لين القول والموعظة في الدعاء إلى عبادة الله عز وجل وحسن الاستعطاف والاستلطاف من غير أن يتضمن سبًّا ولا لعنًا ولا ما يغير النفس ومن غير كلام نازل ولا مستغلق على عادة الرسل في الدعاء إلى الله عز وجل ألا ترى إلى قول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] وقوله لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] وكلها وجوه حسان وهذا أحسنها وقد روي أنه لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم أحد قبل سليمان.

وقال رحمه الله:

---

(١) البخاري (حديث رقم ٧).

الوصف بالكريم في الكتاب غاية الوصف ألا ترى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧] وأهل الزمان يصفون الكتاب بالخطير وبالأثير وبالمبرور فإن كان لملك قالوا: العزيز وأسقطوا الكريم غفلة وهو أفضلها خصلة فأما الوصف بالعزيز فقد وصف به القرآن في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢] فهذه عزته وليست لأحد إلا له فاجتنبوها في كتبكم واجعلوا بدلها العالي توفية لحق الولاية وحياطة للديانة قاله القاضي أبو بكر ابن العربي.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض ما يدل على مشروعية كتابة بسم الله الرحمن الرحيم في صدور الرسائل.

ج: من ذلك قول سليمان عليه السلام في رسالته: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وقول رسول الله ﷺ: «**بسم الله الرحمن الرحيم مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ**»(١). وكذا في اتفاقية رسول الله ﷺ مع سهيل بن عمرو ففيها أن النبي ﷺ قال لعلي: «**اكتب بسم الله الرحمن الرحيم..**»(٢).

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - أن ملكة سبأ قالت لأشراف قومها ووجهاءهم مستشيرةً لهم ومستخبرة أمرهم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى﴾، أشيروا عليَّ في

(١) البخاري (مع الفتح ١١/ ٤٧)، ومسلم (١٢/ ١٠٣).

(٢) مسلم (١٢/ ١٣٨) مع النووي، والبخاري (٢٧٣١)، و(٢٧٣٢).

الأمر الذي قد حلَّ بي ووقع بي فإني ما كنت قاضية أمرًا، مُبرمة أمرًا كهذا الذي سأبرمه حتى تحضروا عندي وتشيروا عليَّ، فأجابوها بقولهم: ﴿نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ﴾ أي: أقوياء وذوو شدة في الحروب، والأمر إليك، أمر القتال من عدمه موكول إليك وأنت مفوضةٌ فيه، فأمرينا فيه بما تريدي.

وبنحو هذا قال العلماء

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قالت ملكة سبأ لأشراف قومها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي﴾ تقول: أشيروا عليّ في أمري الذي قد حضرني من أمر صاحب هذا الكتاب الذي ألقي إليّ، فجعلت المشورة فتيا.

وقوله: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ تقول: ما كنت قاضية أمرًا في ذلك حتى تشهدون، فأشاوركم فيه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد: دعت قومها تشاورهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ يقول في الكلام: ما كنت لأقطع أمرًا دونك ولا كنت لأقضي أمرًا، فلذلك قالت: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ بمعنى: قاضية.

وقوله: ﴿قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ يقول تعالى ذكره: قال الملأ من قوم ملكة سبأ؛ إذ شاورتهم في أمرها وأمر سليمان: نحن ذوو القوّة على القتال، والبأس الشديد في الحرب، والأمر أيتها الملكة إليك في القتال وفي تركه، فانظري من الرأي ما ترين، فَمُرينا نأتمر لأمرك.

وأورد بإسنادٍ حسن عن ابن زيد: ﴿قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ عرضوا لها القتال، يقاتلون لها، ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ بعد هذا، ﴿فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

MOSTAFALABIB.COM

لما قرأت عليهم كتاب سليمان استشارتهم في أمرها، وما قد نزل بها؛ ولهذا قالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ أي: حتى تحضرون وتشيرون.

﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي: مَنُّوا إليها بعَدَدهم وعُدَدهم وقوتهم، ثم فوضوا إليها بعد ذلك الأمر فقالوا: ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ أي: نحن ليس لنا عاقة ولا بنا بأس، إن شئت أن تقصديه وتحاربيه، فما لنا عاقة عنه. وبعد هذا فالأمر إليك، مري فينا برأيك نمتثله ونطيعه.

قال الحسن البصري رحمه الله: فوضوا أمرهم إلى عِلْجة تضطرب ثدياها، فلما قالوا لها ما قالوا، كانت هي أحزم رأيًا منهم، وأعلم بأمر سليمان، وأنه لا قبل لها بجنوده وجيوشه، وما سُخّر له من الجن والإنس والطير، وقد شاهَدَت من قضية الكتاب مع الهدهد أمرًا عجيبًا بديعًا، فقالت لهم: إني أخشى أن نحاربه ونمتنع عليه، فيقصدنا بجنوده، ويهلكنا بمن معه، ويخلص إليّ وإليكم الهلاك والدمار دون غيرنا؛ ولهذا قالت: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى﴾ الملأ أشراف القوم وقد مضى في سورة (البقرة) القول فيه قال ابن عباس: كان معها ألف قَيْل، وقيل: اثنا عشر ألف قَيْل مع كل قَيْل مائة ألف. والقيل الملك دون الملك الأعظم فأخذت في حسن الأدب مع قومها ومشاورتهم في أمرها وأعلمتهم أن ذلك مطرد عندها في كل أمر يعرض بقولها: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ فكيف في هذه النازلة الكبرى فراجعها الملأ بما يقر عينها من إعلامهم إياها بالقوة والبأس، ثم سلموا الأمر إلى نظرها وهذه محاورة حسنة من الجميع. قال

قتادة: ذكر لنا أنه كان لها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا هم أهل مشورتها، كل رجل منهم على عشرة الآف.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في تأويل قولهم:

﴿ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ سلموا الأمر إلى نظرها مع ما أظهروا لها من القوة والبأس والشدة.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

في هذه الآية دليل على صحة المشاورة وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] في «آل عمران» إما استعانة بالآراء وإما مداراة للأولياء وقد مدح الله تعالى الفضلاء بقوله: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨] والمشاورة من الأمر القديم وخاصة في الحرب فهذه بلقيس امرأة جاهلية كانت تعبد الشمس: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ لتختبر عزمهم على مقاومة عدوِّهم وحزمهم فيما يقيم أمرهم وإمضائهم على الطاعة لها بعلمها بأنهم إن لم يبذلوا أنفسهم وأموالهم ودماءهم دونها لم يكن لها طاقة بمقاومة عدوِّها وإن لم يجتمع أمرهم وحزمهم وجَدُّهم كان ذلك عونًا لعدوهم عليهم وإن لم تختبر ما عندهم وتعلم قدر عزمهم لم تكن على بصيرة من أمرهم وربما كان في استبدادها برأيها وَهْنٌ في طاعتها ودخيلة في تقدير أمرهم وكان في مشاورتهم وأخذ رأيهم عون على ما تريده من قوة شوكتهم وشدة مدافعتهم، ألا ترى إلى قولهم في جوابهم: ﴿ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ قال ابن عباس: كان من قوة أحدهم أنه يركض فرسه حتى إذا احتدَّ ضم فخذيه فحبسه بقوته.

❁ ❁ ❁

noorlibrary.com

س: وضح معنى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم – أن ملكة سبأ لما وُكِّلَ إليها قومها وأشراف قومها الأمر بقولهم: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ فبينت لهم حينئذٍ أحوال الملوك قائلة: إن الملوك إذا دخلوا قرية خربوها، وجعلوا العزيز فيها ذليلاً، وجعلوا الحُر فيها مستعبدًا، وقتلوا وسفكوا الدماء وأسروا الأسارى، فقال الله لها مقرًّا على ما قالته: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قالت صاحبة سبأ للملإ من قومها؛ إذ عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمان، إن أمرتهم بذلك: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ عنوة وغلبة ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ يقول: خرّبوها ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ وذلك باستعبادهم الأحرار، واسترقاقهم إياهم؛ وتناهى الخبر منها عن الملوك في هذا الموضع فقال الله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وكما قالت صاحبة سبأ تفعل الملوك، إذا دخلوا قرية عنوة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال ابن عباس: أي إذا دخلوا بلدًا عنْوَة أفسدوه، أي: خرّبوه، ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ أي: وقصدوا مَنْ فيها من الولاة والجنود، فأهانوهم غاية الهوان؛ إما بالقتل أو بالأسر.

قال ابن عباس: قالت بلقيس: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾، قال الرب عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، ثم عدلت إلى المهادنة والمصالحة والمسالمة والمخادعة والمصانعة، فقالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ

MOSTAFAADLY.COM

﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أي: سأبعث إليه بهدية تليق به وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك، فلعله يقبل ذلك ويكفُّ عنا، أو يضرب علينا خَرَاجًا نحمله إليه في كل عام، ونلتزم له بذلك ويترك قتالنا ومحاربتنا. قال قتادة: رحمها الله ورضي عنها، ما كان أعقلها في إسلامها وفي شركها!! علمت أن الهدية تقع موقعًا من الناس.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ أهانوا شرفاءها لتستقيم لهم الأمور فصدق الله قولها ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ قال ابن الأنباري: ﴿وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ هذا وقف تامٌّ فقال الله ﷻ تحقيقًا لقولها: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ وشبيه به في سورة (الأعراف) ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف: ١٠٩-١١٠] تم الكلام فقال فرعون: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ وقال ابن شجرة: هو قول بلقيس فالوقف ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: وكذلك يفعل سليمان إذا دخل بلادنا.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

ج: هذا قول ملكة سبإ لقومها بعد أن استشارتهم فوكلوا أمرهم إليها، فقالت: وإني مرسلة إليهم بهديةٍ فمنتظرة ردَّهم على تلك الهدية، إن قبلوها وكَفُّوا عنا فهذا الذي نريد، وإن ردُّوها فما أرى الرجل إلا نبيًّا يريد منا أن نتبعه على دينه، فلننتظر إذن ردُّ المرسلين الذي سنرسلهم وعلى إثر ذلك يأتي قرارنا، فكانت امرأة حكيمة عاقلة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر أنها قالت: إني مرسلة إلى سليمان؛ لتختبره بذلك وتعرفه به، أملك هو، أم نبيّ؟ وقالت: إن يكن نبيًّا لم يقبل الهدية، ولم يرضه منا، إلا أن نتبعه

Mostafa Adly.com

على دينه، وإن يكن ملكًا قبل الهدية وانصرف.

وقوله: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ تقول: فأنظر بأيّ شيء من خبره وفعله في هديتي التي أرسلها إليه ترجع رسلي، أبقبول وانصراف عنا، أم بردّ الهدية والثبات على مطالبتنا باتباعه على دينه؟

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ هذا من حسن نظرها وتدبيرها أي: إني أجرب هذا الرجل بهدية وأعطيه فيها نفائس من الأموال وأغرب عليه بأمور المملكة: فإن كان ملكًا دنيويًّا أرضاه المال وعلمنا معه بحسب ذلك وإن كان نبيًّا لم يرضه المال ولازمنا في أمر الدين فينبغي لنا أن نؤمن به ونتبعه على دينه.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَنَاظِرَةٌ﴾ أي: منتظرة ﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال قتادة: يرحمها الله أن كانت لعاقلة في إسلامها وشركها قد علمت أن الهدية تقع موقعًا من الناس وسقطت الألف في (بم) للفرق بين (ما) الخبرية وقد يجوز إثباتها قال:

على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد

❁ ❁ ❁

س: هل ورد عن رسول الله ﷺ شيء في وصف هذه الهدية التي أرسلتها ملكة سبإ إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

ج: لم يرد في ذلك خبر صحيح عن رسول الله ﷺ، وقد وردت أقوال لعدد من المفسرين في هذا الصدد، ذكر عددًا منها الطبري بأسانيد أغلبها ضعيف

إلى قائليها.

وقال ابن كثير إجمالًا:

ذكر غير واحد من المفسرين، من السلف وغيرهم: أنها بعثت إليه بهدية عظيمة من ذهب وجواهر ولآلئ وغير ذلك. وقال بعضهم: أرسلت إليه بلَبِنَة من ذهب. والصحيح أنها أرسلت إليه بآنية من ذهب.

قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وغيرهما: وأرسلت جوارٍ في زي الغلمان، وغلمان في زي الجواري، وقالت: إن عرف هؤلاء من هؤلاء فهو نبي. قالوا: فأمرهم عليه السلام أن يتوضؤوا، فجعلت الجارية تُفرغ على يدها من الماء، وجعل الغلام يغترف، فميزهم بذلك.

وقيل: بل جعلت الجارية تغسل باطن يدها قبل ظاهرها، والغلام بالعكس.

وقيل: بل جعلت الجواري يغتسلن من أكفهن إلى مرافقهن، والغلمان من مرافقهم إلى أكفهم. ولا منافاة بين ذلك كله، والله أعلم.

وذكر بعضهم: أنها أرسلت إليه بقدح ليملأه ماء رواء، لا من السماء ولا من الأرض، فأجرى الخيل حتى عرقت، ثم ملأه من ذلك، وبخرزة وسلك فيجعله فيها، ففعل ذلك. والله أعلم أكان ذلك أم لا **وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات.** والظاهر أن سليمان عليه السلام لم ينظر إلى ما جاءوا به بالكلية، ولا اعتنى به، بل أعرض عنه، وقال منكرًا عليهم: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾.

قلت (مصطفى): ولا داعي للانشغال بصفة الهدية، فلا فائدة في ذلك فضلًا عن كون النبي ﷺ لم يذكر شيئًا في ذلك.

❁ ❁ ❁

Nostrapdf.com

س: لماذا ردَّ سليمان عليه السلام الهدية؟

ج: ردَّها لأنها كانت رشوة عن الدين، أي: رشوة حتى يقبل بها دينهم الباطل. فلذا لم يقبلها عليه السلام.

قال القرطبي رحمه الله:

كان النبي ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها[1] ولا يقبل الصدقة وكذلك كان سليمان عليه السلام وسائر الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين- وإنما جعلت بلقيس قبول الهدية أو ردها علامة على ما في نفسها على ما ذكرناه من كون سليمان ملكًا أو نبيًّا؛ لأنه قال لها في كتابه: ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ وهذا لا تقبل فيه فدية ولا يؤخذ عنه هدية وليس هذا من الباب الذي تقرر في الشريعة عن قبول الهدية بسبيل وإنما هي رشوة وبيع الحق بالباطل وهي الرشوة التي لا تحل وأما الهدية المطلقة للتحبب والتواصل فإنها جائزة من كل أحد وعلى كل حال وهذا ما لم يكن من مشرك.

❁ ❁ ❁

باب في الهدايا وفضلها

س: اذكر بعض الوارد في فضل الهدية وشيئًا من فقهها

ج: وها هي جملة نصوص عن رسول الله ﷺ في هذا الباب: باب قبول الهدية ومجازاة من أهدى إليك، والحث على الإهداء والهدية من الكافر ومن المسلم وللكافر والمسلم، والموانع التي قد تتدخل لمنع الهدية ولمنع قبولها أو كراهيتها وكراهية قبولها. وبالله التوفيق.

---

(١) وسيأتي إن شاء الله.

MOSTAFABAY.COM

* أخرج البخاري[١] رحمه الله تعالى من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا[٢].

* وفي «الصحيحين»[٣] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ: أَهَدِيَّةٌ أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَإِنْ قِيلَ: صَدَقَةٌ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «كُلُوا» وَلَمْ يَأْكُلْ وَإِنْ قِيلَ: هَدِيَّةٌ ضَرَبَ بِيَدِهِ ﷺ فَأَكَلَ مَعَهُمْ.

الحثُّ على الهدية ولو بالقليل:

وحثُّ النبي ﷺ على الإهداء ولو بالقليل:

* فقال عليه الصلاة والسلام: «**يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا**[٤] **وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ**»[٥]. والفِرْسِنَ: هو موضع الحافر، والمراد أن النبي ﷺ، حثَّ المرأة على الإهداء لجارتها والجود بما تيسر عندها وإن كان هذا المُهدى قليلًا فهو خير من العدم، وهو دليلٌ على المودة، وفي الحديث أيضًا حثٌّ للمهدى إليها على قبول الهدية وإن قلَّت الهدية فهي دليل على تقدير المهدية للمُهدى إليها.

* وروي أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: «**تَهَادُوا تَحَابُّوا**»[٦].

الحثُّ على قبول الهدية:

* وأخرج البخاري في «الأدب المفرد»[٧] بإسناد صحيح عن عبد الله

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٥٨٥)، وقد أعلَّه بعض العلماء بالإرسال وهو الصواب لكن انظر إلى الشواهد التي ذكرناها في هذا الباب.

(٢) معنى يثيب عليها أي: يجازي المهدي بهدية أيضًا.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٢٥٧٦)، ومسلم (حديث ١٠٧٧).

(٤) وقد تطلق الجارة على الضُّرة أحيانًا، وهي هنا عامة فالمراد جارة المنزل والمراد الضُّرة أيضًا، والله أعلم.

(٥) أخرجه البخاري (٢٥٦٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٦) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (حديث ٥٩٤)، ومن المعلوم أن «الأدب المفرد» للبخاري غير «صحيح البخاري»، والحديث إسناده حسن لشواهده.

(٧) البخاري في «الأدب المفرد» (حديث ١٥٧)، وأحمد في «المسند» (١/ ٤٠٤)، وأبو يعلى

Nosrpalow.com

(وهو ابن مسعود) عن النبي ﷺ قال: «أَجِيبُوا الدَّاعِيَ وَلَا تَرُدُّوا الْهَدِيَّةَ[١] وَلَا تَضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ».

قبول النبي ﷺ قليل الهدية وكثيرها:

وكان عليه الصلاة والسلام يقبل القليل كما يقبل الكثير:

* ففي «الصحيح»[٢] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لأَجَبْتُ وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ».

وَالْكُرَاع مِنَ الدَّابَّة: مَا دُون الْكَعْب.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[٣]: وَخَصَّ الذِّرَاع وَالْكُرَاع بِالذِّكْرِ لِيَجْمَعَ بَيْن الْحَقِير وَالْخَطِير؛ لِأَنَّ الذِّرَاع كَانَتْ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرهَا وَالْكُرَاع لَا قِيمَة لَهُ.

إذا رددت الهدية فبين سبب ردِّها جبرًا للخاطر[٤]:

وكذا إذا ردَّ هدية علَّل سبب الرد جبرًا لخاطر المُهدي:

* ففي «الصحيحين»[٥] من حديث الصَّعْب بْن جَثَّامَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حِمَارًا وَحْشِيًّا، وَهُوَ بِالْأَبْوَاءِ أَوْ بِوَدَّانَ، فَرَدَّه عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: «أَمَا إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنا حُرُمٌ».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وَفِيهِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ قَبُول مَا لَا يَحِلُّ مِنَ الْهَدِيَّة.

(٩/ ٢٨٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٥٥٥).

(١) ذكر فريقٌ من العلماء أن القاضي يحرم عليه قبول الهدية، خاصة ممن يقضي بينهم أو ممن يُظن أنه سيقضي بينهم أو ممن يشفع عنده في الأقضية.

(٢) البخاري (حديث ٢٥٦٨).

(٣) «فتح الباري» (٥/ ٢٣٦).

(٤) إذا كان الخاطر يُجبر بذلك؛ أما إذا كان الخاطر يُكسر ببيان سبب الرد فلا تبين والله أعلم.

(٥) أخرجه البخاري (حديث ٢٥٧٣)، ومسلم (حديث ١١٩٣).

Mostafa Adly .com

أما عن قبول الهدية من المشركين والإهداء لهم[١]:

وقبل نبينا ﷺ الهدية من المشركين:

* ففي «الصحيح»[٢] من حديث أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ تَبُوكَ، وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَغْلَةً بَيْضَاءَ وَكَسَاهُ بُرْدًا.

* وفي «الصحيحين»[٣] كذلك أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا.

* وَأَهْدَى أُكَيْدِرَ دُومَةِ الْجَنْدَلِ إلى النبي ﷺ حُلَّةً[٤].

* وانظر ترجمة مارية رضي الله عنها (أم إبراهيم عليه السلام وسرِّية رسول الله ﷺ) في «الإصابة» فقد ذُكر هناك أن المقوقس أهداها لرسول الله ﷺ.

* وأيضًا فإن إبراهيم الخليل ﷺ لما دخلت زوجته سارة على الجبار الكافر وردَّ الله يده وكبته الله أهداها هذا الكافر هاجر رضي الله عنها[٥].

وكذلك فالإهداء للمشركين جائز:

قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

---

(١) ومحل ذلك إذا لم تكن رشوة عن الدين أو للإقرار على باطل.

(٢) البخاري (حديث ٣١٦١)، ومسلم (حديث ١٣٩٢).

(٣) البخاري (حديث ٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) البخاري معلقًا (٢٦١٦)، ومسلم متصلًا (ص ١٩١٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) البخاري (٢٦٣٥) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ بِسَارَةَ فَأَعْطَوْهَا هَاجَرَ فَرَجَعَتْ فَقَالَتْ: أَشَعَرْتَ أَنَّ اللهَ كَبَتَ الْكَافِرَ وَأَخْدَمَ وَلِيدَةً؟!» والحديث مطول في مواطن أخر من الصحيح.

Nostrapdf.com

* وفي «الصحيحين» من حديث أَسْمَاءَ بنت أبي بَكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُول الله ﷺ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ قُلْتُ: إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «**نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ**»(١).

* وَأَهْدَى عُمَرُ حُلَّةَ لأَخٍ لَهُ مُشْرِكٌ بِمَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ أخُوهُ(٢).

لكن إذا كان هذا الكافر سيتقوى بهذه الهدية على المسلمين ويؤذيهم ويتمرد عليهم ويتجبر فحينئذٍ لا يُهْدَى إليه، ولا كرامة.

* وأخرج الترمذي وأبو داود والبخاري في «الأدب المفرد» بإسناد صحيح(٣) من طريق مُجَاهِدٍ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ فِي أَهْلِهِ فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**».

وهناك هدايا لا تُرد:

* منها: الطيب؛ ففي «صحيح البخاري» من حديث أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَرُدُّ الطِّيبَ.

* وصح عن رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ فَلَا يَرُدُّهُ فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمِلِ طَيِّبُ الرِّيحِ**».

أما إذا كانت الهدية بمنزلة الرشوة فإنها تُرد كما فعل سليمان عليه السلام، إذ كانت الهدية رشوة عن الدين كي تُقرَّ على عبادة الشمس.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٢٠) (٥٩٧٨) وهناك قال ابن عيينة: فأنزل الله تعالى فيها: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ...﴾ [الممتحنة: ٨، ٩]، وأخرجه مسلم (٣/ ٤١).

(٢) انظر البخاري (٢٦١٩).

(٣) الترمذي (حديث ١٩٤٣)، وأبو داود (٥١٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (حديث ١٠٥).

MOSTAFALAWY.COM

وكذا فإذا كانت الهدية بمثابة الرشوة لإبطال الحق وإثبات الباطل فلا تُقبل حينئذٍ.

وكذلك إذا كانت الهدية للأمراء والوزراء والمسئولين[١] كي يعطوك شيئًا ليس من حقك أو يتجاوزوا لك عن شيء لا ينبغي لهم أن يتجاوزوا عنه فحينئذٍ يحرم عليك الإهداء ويحرم عليهم قبول الهدية، وقد استعمل النبي ﷺ لفظًا شديدًا في الزجر في هذا الباب:

* ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا مِنْ الْأَزْدِ يُقَالُ لَهُ: «ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ» عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي. قَالَ: «**فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ - أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ- فَيَنْظُرَ يُهْدَى لَهُ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ**، - ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ-: **اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ**» ثَلَاثًا.

* ومن ثم روى البخاري معلقًا[٣] عن عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: كَانَتْ الْهَدِيَّةُ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ هَدِيَّةً وَالْيَوْمَ رِشْوَةٌ.

---

(١) كالقضاة والشُّرط ونحوهم.

(٢) البخاري (حديث ٢٥٩٧)، ومسلم (١٨٣٢).

(٣) معلقًا (مع الفتح ٥/ ٢٦٠) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وَصَلَهُ ابْن سَعْد بِقِصَّةٍ فِيهِ، فَرَوَى مِنْ طَرِيق فُرَات بْن مُسْلِم قَالَ: اشْتَهَى عُمَر بْن عَبْد الْعَزِيز التُّفَّاح فَلَمْ يَجِدْ فِي بَيْته شَيْئًا يَشْتَرِي بِهِ، فَرَكِبْنَا مَعَهُ، فَتَلَقَّاهُ غِلْمَان الدَّيْر بِأَطْبَاقِ تُفَّاح، فَتَنَاوَلَ وَاحِدَة فَشَمَّهَا ثُمَّ رَدَّ الْأَطْبَاق، فَقُلْت لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: لَا حَاجَة لِي فِيهِ، فَقُلْت: أَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّة ؟ فَقَالَ: إِنَّهَا لِأُولَئِكَ هَدِيَّة وَهِيَ لِلْعُمَّالِ بَعْدهمْ رِشْوَة.

MOSTAFALARAWY.COM

* وأخرج عبد الرزاق في «المصنف»[١] بإسناد صحيح لغيره عن ابن مسعود ﷺ قال: السُّحت الرشوة في الدِّين. قال سفيان: يعني الحكم.

* وأخرج أبو داود[٢] وغيره بإسناد صحيح من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي».

وكذلك إذا كانت الهدية شيئًا مسروقًا أو شيئًا محرمًا فلا تقبل لما في ذلك من أكل الحرام والمعاونة على الإثم والعدوان.

* وفي «مسند الإمام أحمد»[٣] أن الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ صَحِبَ قَوْمًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَوَجَدَ مِنْهُمْ غَفْلَةً فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ فَجَاءَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَبَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَقْبَلَهَا.

* وكذلك إذا كانت الهدية إنما أهداها صاحبها لأخذ أكثر منها وإن لم يأخذ أكثر منها يتسخط، فإذا عرف من عادته هذا فلك – والله أعلم – أن تتوقف في قبول هديته.

---

(١) عبد الرزاق (المصنف ١٤٦٦٤)، وانظر «السنن الكبرى» للبيهقي (١٠/ ١٣٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٨٠)، والترمذي (مع التحفة ٤/ ٥٦٧)، وابن ماجه (٢/ ٧٧٥).

قال كثير من أهل العلم: إن الراشي هو معطي الرشوة والمرتشي هو آخذها والرائش هو الذي يسعى بينهما، وقالوا: الرشوة ما يُعطى لإبطال حقٍّ أو لإحقاق باطل، أما إذا أعطى ليتوصل به إلى حق أو ليدفع به عن نفسه ظلمًا فلا بأس به.

انظر ما ذكره المباركفوري في «تحفة الأحوذي» وكذلك شمس الحق العظيم أبادي في «عون المعبود»، وكذلك الخطابي في «معالم السنن» وغيرهم.

(٣) «المسند» (٤/ ٢٤٦) من طريق أبي معاوية ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن المغيرة بن شعبة به.

وفي رواية أبي معاوية عن هشام مقال، لكن للحديث شاهد في البخاري ففيه (٢٧٣١، ٢٧٣٢)... وكان المغيرة صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ: «**أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء**».

MOSTAFAADAWY.COM

وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩]، وهذا في مثل هذا الموطن، في رجل يهدي وينتظر من المهدي إليه أضعاف ما يقدمه له.

أو إن كان المهدي يعتبر هديته بمثابة الدَّين عليك، وأنت لا تريد أن تتحمل دينًا شرعًا ولا عرفًا، فلك في مثل هذه الحالة أن تتوقف مع اعتذارٍ لطيف للمهدي، اعتذارٍ لا يكسر له خاطرًا ولا يشوش عليه فكرًا.

وكذلك إذا كان المهدي منَّانًا يمنُّ بهديته ويتحدث بها فلك في مثل هذه الحال أن تتوقف.

وكل هذا يقدر بقدره والأصل استحباب الهدية واستحباب قبولها والإثابة عليها.

وكذلك يكره لك أن تهدي هدية لشخص سفيه يستعملها في معصية الله ﷻ وفي الفساد في الأرض، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥].

وكذلك فأثناء هديتك انتبه هل ستُصْلِح في باب وتُفسد في باب آخر أم أن الهدية كلها خير، فقد تهدي لابنٍ من أبنائك دون الآخرين فتسبب مفسدة وضغينة بين الأولاد:

قال النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ رضي الله عنهما[1]: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللهِ.

(١) أخرجه البخاري (٢٥٨٧)، ومسلم (حديث ١٦٢٣).

Mostafaabw.com

قَالَ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟» قَالَ: لَا. قَالَ: «فَاتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ» قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ.

* وأخرج عبد الرزاق [١] بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا أسلفت رجلًا سلفًا، فلا تقبل منه هدية كُراع ولا عارية ركوب دابة.

* وأخرج أيضًا [٢] من طريق سالم بن أبي الجعد قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إنه كان لنا جار سمَّاك فأقرضته خمسين درهمًا، وكان يبعث إليَّ من سمكه، فقال ابن عباس: احاسبه، فإن كان فضلًا فرُدَّ عليه، وإن كان كفافًا فقاصصه.

* وأخرج أيضًا [٣] بإسناد صحيح عن إبراهيم عن علقمة قال: إذا نزلت على رجل لك عليه دين فأكلت عليه فاحسبه له ما أكلت عنده، إلا أن إبراهيم كان يقول: إلا أن يكون معروفًا كانا يتعاطيانه قبل ذلك.

وثمَّ جملة آثار أُخر في هذا الباب، وفي أسانيد كثير منها مقال [٤].

* قلت: لكن إذا أقرضت رجلًا مبلغًا من المال وردَّه إليك مع زيادة (بدون اشتراط منك) وكانت نفسه طيبة بذلك فلا مانع من قبوله، وذلك لما في «الصحيحين» [٥] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سِنٌّ [٦] مِنَ الْإِبِلِ فَجَاءَه يَتَقَاضَاهُ فَقَالَ ﷺ: «أَعْطُوهُ» فَطَلَبُوا سِنَّهُ، فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا

(١) عبد الرزاق (المصنف ١٤٦٥٠).
(٢) عبد الرزاق (المصنف ١٤٦٥١)، وهو صحيح أيضًا، وأخرجه البيهقي (٥/ ٣٥٠).
(٣) عبد الرزاق (المصنف ١٤٦٤٩).
(٤) انظرها في «مصنف عبد الرزاق» (٥/ ١٤٢)، وفي «السنن الكبرى» للبيهقي (٥/ ٣٤٩).
(٥) البخاري (حديث ٢٣٩٣)، ومسلم (حديث ١٦٠١).
(٦) يعني جمل له سنٌّ معين.

Mostafa Adly.com

سِنًّا فَوْقَهَا[١]، فَقَالَ: «أَعْطُوهُ» فَقَالَ: أَوْفَيْتَنِي أَوْفَى الله بك، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً».

وفي «الصحيحين»[٢] أيضًا من حديث جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَكَانَ لِي عَلَيْهِ دَيْنٌ فَقَضَانِي وَزَادَنِي.

وأيضًا ينبغي أن يتحفظ الشخص ويتورع عن الهدية إن كانت تقوم مقام الربا فقد يقترض شخص من شخص مالًا ويحل وقت السداد ولا يطيق المدين السداد؛ فيسلك مسلك الإهداء لصاحب المال حتى يسكته وحتى يصبر عليه فحينئذٍ من الورع ترك هذه الهدايا، نعم إنه يجوز قبولها ما لم يشترط لكن الأورع ترك الهدية إذا كانت بهذه المثابة.

وفي هذا الباب أذكر ما أخرجه البخاري[٣] رحمه الله من طريق أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ رضي الله عنه فَقَالَ: أَلَا تَجِيءُ فَأُطْعِمَكَ سَوِيقًا وَتَمْرًا وَتَدْخُلَ فِي بَيْتٍ؟ ثُمَّ قَالَ: إِنَّكَ فِي أَرْضٍ الرِّبَا بِهَا فَاشٍ، إِذَا كَانَ لَكَ عَلَى رَجُلٍ حَقٌّ فَأَهْدَى إِلَيْكَ حِمْلَ تِبْنٍ أَوْ حِمْلَ شَعِيرٍ أَوْ حِمْلَ قَتٍّ فَلَا تَأْخُذْهُ فَإِنَّهُ رِبًا.

وكما أسلفنا فيجوز أن تهدي المرأة للرجل وأن يُهدي الرجل للمرأة، ومحل ذلك – كما هو معلوم – عند أمن الفتنة، أما إذا كانت هدية المرأة للرجل أو الرجل للمرأة يتأتى من ورائها فتنة، وتقع المرأة في قلب الرجل ويقع في قلبها ويحدث من وراء ذلك المحرم، فحينئذٍ تمنع الهدية لا لكونها حرامًا، ولكن سدًّا للذريعة الموصلة إلى الحرام فالله لا يحب الفساد.

---

(١) وفي رواية أخرى: لا نجد إلا سنًّا أفضل من سنِّه.

(٢) البخاري (حديث ٢٣٩٤)، ومسلم (ص ١٢٢٢، ١٢٢٣).

(٣) البخاري (حديث ٣٨١٤).

ولا ينبغي أن تحرج أحدًا وتحمله على الإهداء لك، فإنك إن فعلت أوشكت أن لا يبارك لك في هذا الشيء المهدى، ولكن إن أهدي إليك أو أخذت الشيء بغير مسألة ولا إشراف نفس بورك لك فيه، ولتحرص على أن تكون نفس المهدي طيبة وهو يهدي إليك.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – فلما جاءت رسل ملكة سبأ إلى سليمان عليه السلام بهداياها التي أرسلتها قال لهم سليمان عليه السلام: أتمدونني بمالٍ فالذي أعطانيه الله ومنَّ عليَّ به من المال والدنيا خيرٌ مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون، ارجع إلى قومك فلنأتينهم بجنودٍ لا طاقة لهم بها ولنخرجنهم من بلادهم أذلةً أشد الإذلال، مُهانون أشد الإهانة.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ يقول: قال سليمان لما جاء الرسول من قبل المرأة بهداياها: أتمدونن بمال.

وقوله: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ يقول: فما آتاني الله من المال والدنيا أكثر مما أعطاكم منها وأفضل ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ يقول: ما أفرح بهديتكم التي أهديتم إليّ، بل أنتم تفرحون بالهدية التي تُهدى إليكم؛ لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا، ومكاثرة بها، وليست الدنيا وأموالها من حاجتي، لأن الله تعالى ذكره قد مكَّنني منها وملَّكني فيها ما لم يُمَلِّك أحدًا.

﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ وهذا قول سليمان لرسول المرأة: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ

MOSTAFAABW.COM

﴿لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم على دفعهم عما أرادوا منهم.

﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ يقول: ولنخرجنّ من أرسلكم من أرضهم أذلة وهم صاغرون إن لم يأتوني مسلمين.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ أي: أتصانعونني بمال لأترككم على شرككم وملككم؟! ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ أي: الذي أعطاني الله من الملك والمال والجنود خير مما أنتم فيه، ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ أي: أنتم الذين تنقادون للهدايا والتحف، وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف.

قال الأعمش، عن المِنْهَال بن عمرو، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أمر سليمان الشياطين فموهوا له ألف قصر من ذهب وفضة. فلما رأت رسلها ذلك قالوا: ما يصنع هذا بهديتنا. وفي هذا دلالة على جواز تهيؤ الملوك وإظهارهم الزينة للرسل والقصاد.

﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: بهديتهم، ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ أي: لا طاقة لهم بقتالهم، ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾ أي: من بلدهم، ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ أي: مهانون مدحورون.

فلما رجعت إليها رسلُها بهديتها، وبما قال سليمان، سمعت وأطاعت هي وقومها، وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة ذليلة، معظمة لسليمان، ناوية متابعته في الإسلام. ولما تحقق سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ قدومهم عليه ووفودهم إليه، فرح بذلك وسَرّه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: ومعنى أتمدونني أتزيدونني مالا إلى ما تشاهدونه من أموالي.

قوله تعالى: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ أي: فما أعطاني من الإسلام والملك والنُّبوَّة خير مما أعطاكم فلا أفرح بالمال و(آتان) وقعت في كل المصاحف بغير ياء وقرأ أبو عمرو ونافع و حفص: ﴿ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ بياء مفتوحة فإذا وقفوا حذفوا وأما يعقوب فإنه يثبتها في الوقف ويحذف في الوصل لالتقاء الساكنين والباقون بغير ياء في الحالين ﴿بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ﴾ لأنكم أهل مفاخرة ومكاثرة في الدنيا.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣٨﴾.

ج: هذا معناه – والله أعلم – أن سليمان عليه السلام قال لعَلِيَّة القوم الذين معه ولكبرائهم: يا أيها الملأ أيكم يأتيني بسرير ملكها قبل أن يأتوني مستسلمين خاضعين، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: لماذا سأل سليمان عليه السلام الملأ أن يأتوه بعرش ملكة سبأ قبل مجيئها مستسلمة مع قومها؟

ج: قال بعض العلماء: إنما قال ذلك حتى إذا أخذه قبل إسلامها لم يكن عليه جناح.

وقال آخرون: إنما أراد أن يختبرها به إذا جاءت.

وقال آخرون: إنما أخذه ليبين لها قدرة الله عز وجل على كل شيء.

قال الطبري رحمه الله:

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله خصّ سليمان مساءلة الملأ من جنده إحضار عرش هذه المرأة من بين أملاكها قبل إسلامها، فقال

MOSTAFALIBRARY.COM

بعضهم: إنما فعل ذلك لأنه أعجبه حين وصف له الهدهد صفته، وخشي أن تسلم فيحرُم عليه مالها، فأراد أن يأخذ سريرها ذلك قبل أن يحرُم عليه أخذه بإسلامها.

وقال آخرون: بل فعل ذلك سليمان ليعاتبها به، ويختبر به عقلها، هل تثبته إذا رأته، أم تنكره؟

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

واختلفوا في فائدة استدعاء عرشها فقال قتادة: ذكر له بعظم وجوده فأراد أخذه قبل أن يعصمها وقومها الإسلام ويحمي أموالهم والإسلام على هذا الدين وهو قول ابن جريج. وقال ابن زيد: استدعاه ليريها القدرة التي هي من عند الله ويجعله دليلًا على نبوته لأخذه من بيوتها دون جيش ولا حرب ولا ﴿مُسْلِمِينَ﴾ على هذا التأويل بمعنى مستسلمين وهو قول ابن عباس. وقال ابن زيد أيضًا: أراد أن يختبر عقلها ولهذا قال: ﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ﴾ وقيل: خافت الجن أن يتزوج بها سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ فيولد له منها ولد فلا يزالون في السخرة والخدمة لنسل سليمان، فقالت لسليمان في عقلها خلل فأراد أن يمتحنها بعرشها[1] وقيل: أراد أن يختبر صدق الهدهد في قوله: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ قاله الطبري. وعن قتادة: أحب أن يراه لما وصفه الهدهد والقول الأول عليه أكثر العلماء؛ لقوله تعالى: ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ ولأنها لو أسلمت لحظر عليه مالها فلا يُؤتى به إلا بإذنها. روي أنه كان من فضة وذهب مرصعًا بالياقوت الأحمر والجوهر وأنه كان في جوف سبعة أبيات عليه سبعة أغلاق.

❁ ❁ ❁

(١) ولا دليل على هذا القول فيما أعلم.

س: متى قال سليمان للملإ: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾؟

ج: جمهور المفسرين على أن سليمان عليه السلام قال ذلك بعد أن أتوه بالهدية وردَّها لهم.

وقال ابن عطية: وظاهر الآيات أن هذه المقالة من سليمان عليه السلام بعد مجيء هديتها وردّه إياها، وبعثه الهدهد بالكتاب؛ وعلى هذا جمهور المتأولين.

❁ ❁ ❁

س: ما معنى قوله: ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾؟

ج: الظاهر – والله أعلم –: أن المراد قبل أن يأتوني مستسلمين خاضعين، وذلك لأنهم إنما خرجوا من بلادهم متجهين إلى سليمان عليه السلام، مستسلمين خاضعين لا عن رغبةٍ في الإسلام.

قال الطبري رحمه الله:

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ فقال بعضهم: معناه: قبل أن يأتوني مستسلمين طوعًا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: قبل أن يأتوني مسلمين الإسلام الذي هو دين الله.

قال الطبري رحمه الله:

وأولى الأقوال بالصواب في السبب الذي من أجله خصّ سليمان بسؤاله الملإ من جنده بإحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا؛ ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته، ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه، أنها خلَّفته في بيت في جوف أبيات، بعضها في جوف بعض، مغلق مقفل عليها، فأخرجه الله

MOSTAFALABIB.COM

من ذلك كله، بغير فتح أغلاق وأقفال، حتى أوصله إلى وليه من خلقه، وسلمه إليه، فكان لها في ذلك أعظم حجة، على حقيقة ما دعاها إليه سليمان، وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوّته.

فأما الذي هو أولى التأويلين في قوله: ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ بتأويله، فقول ابن عباس الذي ذكرناه قبل، من أن معناه طائعين؛ لأن المرأة لم تأت سليمان؛ إذ أتته مسلمة، وإنما أسلمت بعد مقدمها عليه وبعد محاورة جرت بينهما ومساءلة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أن عِفريتًا من الجن، وهو المارد والداهية والرئيس فيهم: أنا أُحضر لك عرشها - سرير مُلكها - قبل أن تقوم من مقامك الذي أنت فيه، وقد قال بعض أهل العلم: إن المراد بالمقام المقام الذي كان يجلس فيه للحكم، وزعم بعضهم أنه كان يمتد إلى نصف النهار، وليس على هذا دليل لا من كتاب ولا من سنةٍ صحيحة، أما قوله: ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ أي قادر على إحضاره، أمين على ما فيه.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ يقول تعالى ذكره: قال رئيس من الجنّ مارد قويّ. وللعرب فيه لغتان: عفريت، وعفرية؛ فمن قال: عفرية، جمعه: عفاري؛ ومن قال: عفريت، جمعه: عفاريت.

وقوله: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ يقول: أنا آتيك بعرشها قبل أن تقوم

من مقعدك هذا.

وكان فيما ذُكر قاعدًا للقضاء بين الناس، فقال: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذي جلست فيه للحكم بين الناس. وذُكِرَ أنه كان يقعد إلى انتصاف النهار.

وقوله: ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ على ما فيه من الجواهر، ولا أخون فيه.

وقد قيل: أمين على فَرْج المرأة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

والعفريت من الشياطين القوي المارد والتاء زائدة وقد قالوا: تعفرت الرجل إذا تخلق بخلق الأذاية.

MOSTAFAALADIW.COM

صفات مستحبة في الأجير

س: يستحب لصاحب العمل أن يُراعي في الأجير الذي يستأجره أمرين، قوته وقدرته على العمل، والثاني الأمانة، دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قول العفريت الجني: ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ فذكر مؤهلاته لذلك، وهي القوة والأمانة.

وقول بنت العبد الصالح لأبيه في شأن موسى عليه السلام: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

وقول الصديق يوسف عليه السلام: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، فذكر الحفظ وهو مقتضى الأمانة، وذكر العلم بتدبير الأمور وهو من مقتضيات القوة. وبالله التوفيق.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠)﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: قال الذي عنده علم من الكتاب لسليمان عليه السلام مُقدمًا عرضًا أسرع من العرض الذي ذكره عفريت من الجن، أن آتيك بسرير ملكها قبل أن يرتد إليك طرفك، أي: قبل أن يرجع إليك بصرك إذا نظرت، فارفع بصرك وانظر إلى نهاية بصرك فلن تغمض عينك من تعب بصرك إليَّ وهو حاضرٌ عندك قيل إنما من عينك. فوافق سليمان عليه السلام على ذلك فإذا بسرير ملكها أمانة بين يديه فقال شاكرًا لله: هذا من فضل ربي ليختبرني أأشكره

MOSTAFA-ADLY.COM

على نعمه أم أكفر نعمه عليَّ.

ثم قال مُذكرًا: ومن شكر فإنما يشكر لنفسه أي: أن فائدة الشكر عائدةٌ عليه هو لا على أحدٍ سواه، فإن الله غنيٌّ عن العباد، ولكن يُجازي الشكور.

قال سليمان: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ أي: ومن جحد نعم الله عليه ولم يُقرَّ بها ولم يقدم لها شكرًا فإن ربي غني عنه كريم سبحانه، ومن كرمه تفضله على الخلق مع جحودهم نعمه ﷻ وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: أنا آتيك به قبل أن يصل إليك من كان منك على مدّ البصر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: من قبل أن يبلُغ طرفك مداه وغايته.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: قبل أن يرجع إليك طرفك من أقصى أثره، وذلك أن معنى قوله: ﴿يَرْتَدَّ إِلَيْكَ﴾ يرجع إليك البصر، إذا فتحت العين غير راجع، بل إنما يمتدّ ماضيًا إلى أن يتناهى ما امتدَّ نوره. فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله إنما أخبرنا عن قائل ذلك ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ﴾ لم يكن لنا أن نقول: أنا آتيك به قبل أن يرتدّ راجعًا ﴿إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ من عند منتهاه.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ﴾ يقول: فلما رأى سليمان عرش ملكة سبإ مستقرًّا عنده. وفي الكلام متروك استُغني بدلالة ما ظهر عما ترك، وهو: فدعا الله، فأتى به؛ فلما رآه سليمان مستقرًّا عنده.

وقال:

Mostafalabib.com

وقوله: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي﴾ يقول: هذا البصر والتمكن والملك والسلطان الذي أنا فيه حتى حمل إليّ عرش هذه في قدر ارتداد الطرف من مأرب إلى الشام، من فضل ربي الذي أفضله عليّ وعطائه الذي جاد به علي، ليبلوني، يقول: ليختبرني ويمتحنني، أأشكر ذلك من فعله عليّ، أم أكفر نعمته عليّ بترك الشكر له.

وقد قيل: إن معناه: أأشكر على عرش هذه المرأة إذ أتيت به، أم كفر إذ رأيت من هو دوني في الدنيا أعلم مني.

وقوله: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ يقول: ومن شكر نعمة الله عليه، وفضله عليه، فإنما يشكر طلب نفع نفسه؛ لأنه ليس ينفع بذلك غير نفسه؛ لأنه لا حاجة لله إلى أحد من خَلْقه، وإنما دعاهم إلى شكره تعريضًا منه لهم للنفع، لا لاجتلاب منه بشكرهم إياه نفعًا إلى نفسه، ولا دفع ضُرّ عنها ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ يقول: ومن كفر نعمه وإحسانه إليه، وفضله عليه، لنفسه ظلم، وحظَّها بخَس، والله غنيّ عن شكره، لا حاجة به إليه، لا يضرّه كفر من كفر به من خَلْقه، كريم، ومن كرمه إفضاله على من يكفر نعمه، ويجعلها وصلة يتوصل بها إلى معاصيه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فلما عاين سليمان ومَلَؤه ذلك، ورآه مستقرًّا عنده ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ أي: هذا من نعم الله علي ﴿لِيَبْلُوَنِي﴾ أي: ليختبرني، ﴿ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾، كقوله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦]، وكقوله: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤].

وقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ أي: هو غني عن العباد وعبادتهم، ﴿كَرِيمٌ﴾

أي: كريم في نفسه، وإن لم يعبده أحد، فإن عظمته ليست مفتقرة إلى أحد، وهذا كما قال موسى: ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

[إبراهيم: ٨]

وفي صحيح مسلم: «يقول الله تعالى: يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا. يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم [ثم أوفيكم إياها] فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»(١).

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ أي: ثابتًا عنده ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ أي: هذا النصر والتمكين من فضل ربي ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ﴾ قال الأخفش: المعنى لينظر ﴿ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ وقال غيره: معنى ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ﴾: ليتعبدني وهو مجاز والأصل في الابتلاء الاختبار أي: ليختبرني أأشكر نعمته أم أكفرها ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: لا يرجع نفع ذلك إلا إلى نفسه؛ حيث استوجب بشكره تمام النعمة ودوامها والمزيد منها والشكر قيد النعمة الموجودة وبه تُنال النعمة المفقودة ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ أي: عن الشكر ﴿كَرِيمٌ﴾ في التفضل.

❁ ❁ ❁

الذي عنده علمٌ من الكتاب

س: مَنْ هذا الذي عنده علمٌ من الكتاب؟

ج: لم أقف على خبر ثابت عن رسول الله ﷺ يبين فيه من هذا الذي عنده

(١) مسلم (٢٥٧٧).

علم من الكتاب.

والظاهر من الآية الكريمة أنه عالمٌ، شخصٌ من أهل العلم بالكتاب.

وإن كان أكثر أهل العلم على أنه رجلٌ من البشر علَّمه الله اسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أكثر المفسرين على أن الذي عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا وهو من بني إسرائيل وكان صدِّيقًا يحفظ اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب.

وهناك أقوالٌ أُخر في اسمه منها:

قول قتادة: أنه بليخا.

ومنها: أنه أسطوم.

وأقول أُخر غريبة: منها أنه سليمان عليه السلام نفسه، ومنها أنه الخضر وكل ذلك لا دليل عليه، والاجتزاء بما في كتاب الله أسلم والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بـ﴿عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؟

ج: قال أكثر المفسرين: إنه العلم باسم الله الأعظم.

❁ ❁ ❁

اسم اللّه الأعظم

س: ما اسم الله الأعظم؟

ج: لم أقف على دليلٍ ثابت في هذا عن رسول الله ﷺ، والأخبار المنقولة عنه - صلوات الله وسلامه عليه- في ذلك معلولة.

MOSTAFALADAWY.COM

وقد قال الجمهور[١]: إنه لفظ الجلالة (الله) فلما اعترض عليهم في ذلك بأن كثيرًا من الناس يدعون بهذا الاسم ولا يستجاب لهم، أجيب بأنهم تخلفوا عن سائر شرائط الدعاء فلم يأتوا بها، فالله أعلم.

س: الابتلاء وكما أنه يكون بالضراء فإنه أيضًا يكون بالسراء، وأهل الفهم يفهمون ذلك دلّل على ذلك.

ج: نعم فإن الابتلاء وكما أنه يكون بالضراء فإنه يكون بالسراء كذلك، وهكذا فهم نبي الله سليمان عليه السلام لما رأى عرش ملكة سبأ مستقرًّا عنده، قال: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾.

وقد قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: أن سليمان عليه السلام قال لجنده وأتباعه: غيِّروا لملكة سبإ سرير ملكها الذي آتيتموني به، زيدوا فيه أشياء، وأنقصوا منه أشياء حتى نرى مدى فهمها وذكائها وقوة عقلها، وذلك إذا اهتدت إلى معرفة عرشها.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قال سليمان -لما أتى عرش بلقيس صاحبة سبإٍ،

---

(١) انظر حاشية رد المحتار (١/ ٧)، والدعاء المأثور للطرطوسي (٩٧)، وشرح مشكل الآثار (١/ ١٦٢)، والقرطبي (١/ ١٠٢) وغيرهم.

وقدمت هي عليه - لجنده: غيِّروا لهذه المرأة سريرها.

وقوله: ﴿نَنظُرْ أَنَهْتَدِيٓ﴾ يقول: ننظر أتعقل فتثبت عرشها أنه هو الذي لها ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ يقول: من الذين لا يعقلون فلا تثبت عرشها.

وقيل: إن سليمان إنما نكَّر لها عرشها، وأمر بالصرح يعمل لها، من أجل أن الشياطين كانوا أخبروه أنه لا عقل لها، وأن رجلها كحافر حمار، فأراد أن يعرف صحة ما قيل له من ذلك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما جيء سليمان عليه السلام بعرش بلقيس قبل قدومها، أمر به أن يغير بعض صفاته؛ ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته، هل تقدم على أنه عرشها أو أنه ليس به، فقال: ﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَنَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي غيروه قيل: جعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه وقيل: غير بزيادة أو نقصان. قال الفراء وغيره: إنما أمر بتنكيره لأن الشياطين قالوا له: إن في عقلها شيئا فأراد أن يمتحنها وقيل: خافت الجن أن يتزوج بها سليمان فيولد له منها ولد فيبقون مسخرين لآل سليمان أبدًا فقالوا لسليمان: إنها ضعيفة العقل ورجلها كرجل الحمار فقال: ﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ لنعرف عقلها وكان لسليمان ناصح من الجن فقال: كيف لي أن أرى قدميها من غير أن أسألها كشفها؟[1] فقال: أنا أجعل في هذا القصر ماء وأجعل فوق الماء زجاجًا تظن أنه ماء فترفع ثوبها فترى قدميها فهذا هو الصرح الذي أخبر الله تعالى عنه.

---

(١) وليست هناك أسانيد ثابتة إلى رسول الله ﷺ بهذا والعلم عند الله.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ مَنْ قائله؟ بيِّن ذلك مع إيضاح معناه.

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أن قائل ذلك هو سليمان عليه السلام وحاصل معناه: أن سليمان عليه السلام يقول: وأوتينا العلم بقدرة الله عز وجل والعلم الذي علمنا الله إياه عمومًا من قبل مجيء هذه المرأة وكنا مسلمين لله قبل مجيئها متدينين بدين الإسلام.

الثاني: أن قائلة ذلك هي المرأة، والمعنى: وأوتينا العلم بأنك نبيٌّ من قبل أن نرى هذه المعجزة التي ظهرت لنا من نقل عرشنا إلى بلادك، وجئناك مستسلمين خاضعين.

وبنحو هذين القولين قال أهل العلم.

قال القرطبي رحمه الله:

﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ قيل: هو من قول بلقيس أي: أوتينا العلم بصحة نبوة سليمان من قبل هذه الآية في العرش ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ منقادين لأمره وقيل: هو من قول سليمان أي: أوتينا العلم بقدرة الله على ما يشاء من قبل هذه المرة وقيل: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ﴾ بإسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وقيل: هو من كلام قوم سليمان والله أعلم.

وسيأتي مزيدٌ عما قريب إن شاء الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

Nostalgia.com

ج: المعنى - والله أعلم -: أن ملكة سبإ لما جاءت إلى سليمان عليه السلام أطلعها سليمان عليه السلام على العرش بعد أن غيَّر منه بعض الأشياء، وزاد ونقص، وقيل لها: أهكذا عرشك؟ أهكذا سرير ملكك الذي كنت تجلسين عليه؟ أهكذا سرير ملكك الذي كنت تجلسين عليه؟ قالت: كأنه هو شبهته به وهذا من وافر عقلها لم تنكر أن يكون عرشها، ولم تثبت يقينًا لكونه تركته وراءها في بلادها.

أما قول: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ فللعلماء فيه قولان سبقت الإشارة إليهما، وهذا مزيد من أقوال العلماء في الآية الكريمة.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: لما جاءت صاحبة سبإ سليمان، أخرج لها عرشها، فقال لها: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾؟ قالت وشبهته به: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد: كان أبي يحدّثنا هذا الحديث كله، يعني حديث سليمان، وهذه المرأة ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ شكت.

وقوله: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل سليمان، وقال سليمان: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ أي: هذه المرأة، بالله وبقدرته على ما يشاء، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ لله من قبلها.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ﴾ يريد بلقيس ﴿قِيلَ﴾ لها ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ شبهته به لأنها خلفته تحت الأغلاق فلم تقر بذلك ولم تنكر فعلم سليمان كمال عقلها.

وقال ابن كثير رحمه الله:

Mostafa.dawy.com

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ أي: عرض عليها عرشها، وقد غُيِّرَ ونُكِّر، وزيد فيه ونقص منه، فكان فيها ثبات وعقل، ولها لُبٌّ ودهاء وحزم، فلم تقدم على أنه هو لبعد مسافته عنها، ولا أنه غيره، لما رأت من آثاره وصفاته، وإن غير وبدل ونكر، فقالت: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ أي: يشبهه ويقاربه. وهذا غاية في الذكاء والحزم.

وقوله: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾: قال مجاهد: سليمان يقوله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾؟

ج: هذه تحتمل جملة من المعاني:

الأول: وهو الأظهر عندي والله أعلم.

أما (ما) اسم موصول بمعنى الذي، والمعنى إجمالًا ومنعتها الآلهة التي كانت تعبدها من دون الله ﷻ، منعتها من عبادة الله فقد كانت من قوم كافرين.

أي: ومنعها من الإيمان عبادتها للشمس.

أي: أن عبادتها وعبادة قومها للشمس جعلتها تنصرف عن عبادة الله وحده لا شريك له.

الثاني: أن الذي صدَّها هو سليمان عليه السلام والمعنى، وصدها، أي: ومنعها سليمان عليه السلام عن ما كانت تعبد من دون الله، أي: ومنعها سليمان عن عبادة غير الله، أي: عن عبادة الشمس فقد كانت من قومٍ كافرين.

الثالث: وصدها عن عبادة الله وحده لا شريك له كونها كانت من قومٍ كافرين، فصدوها عن عبادة الله بعبادتهم الشمس وجهلهم، وإلا فقد كانت موفورة العقل.

الرابع: وصدها الله ﷻ عن عبادة غيره بما أطلعها عليه من معالم قدرته

MOSTAFALABIB.COM

ووحدانيته. والله أعلم.

وهذه أقوال بعض العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومنع هذه المرأة صاحبة سبإ ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾، وذلك عبادتها الشمس أن تعبد الله.

وأورد عن مجاهد بإسنادين قد يُحسنا قال: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ قال: كفرها بقضاء الله، صدها أن تهتدي للحق.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولو قيل: معنى ذلك: وصدّها سليمان ما كانت تعبد من دون الله، بمعنى: منعها وحال بينها وبينه، كان وجهًا حسنًا. ولو قيل أيضا: وصدّها الله ذلك بتوفيقها للإسلام، كان أيضًا وجهًا صحيحًا.

وقوله: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ يقول: إن هذه المرأة كانت كافرة من قوم كافرين. وكُسِرَت الألف من قوله: «إنها» على الابتداء. ومن تأوَّل قوله: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ التأويل الذي تأولنا، كانت «ما» من قوله: ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ﴾ في موضع رُفِعَ بالصد؛ لأن المعنى فيه لم يصدها عن عبادة الله جهلها، وأنها لا تعقل، إنما صدها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر، وكان ذلك من دين قومها وآبائها، فاتبعت فيه آثارهم. ومَنْ تأوَّله على الوجهين الآخرين كانت «ما» في موضع نصب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾: هذا من تمام كلام سليمان، عَلَيْهِ السَّلَامُ -في قول مجاهد، وسعيد بن جبير، رحمهما الله -أي: قال

Mostafalabib.com

سليمان: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾، وهي كانت قد صدها، أي: منعها من عبادة الله وحده. ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾. وهذا الذي قاله مجاهد وسعيد حَسَنٌ، وقاله ابن جرير أيضًا.

ثم قال ابن جرير: ويحتمل أن يكون في قوله: ﴿وَصَدَّهَا﴾ ضمير يعود إلى سليمان، أو إلى الله ﷻ تقديره: ومنعها ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ﴾ أي: صدَّها عن عبادة غير الله ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾.

قلت: ويؤيد قول مجاهد: أنها إنما أظهرت الإسلام بعد دخولها إلى الصرح، كما سيأتي.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ﴾ الوقف على ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ﴾ حسن والمعينة: منعها من أن تعبد الله ما كانت تعبد من الشمس والقمر فـ(ما) في موضع رفع. النحاس: المعنى أي: صدها عبادتها من دون الله وعبادتها إياها عن أن تعلم ما علمناه عن أن تسلم ويجوز أن يكون (ما) في موضع نصب؛ ويكون التقدير: وصدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله أي حال بينها وبينه ويجوز أن يكون المعنى: وصدها أي منعها الله عن عبادتها غير فحذفت (عن) وتعدَّى الفعل نظيره: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥] أي: من قومه وأنشد سيبويه:

ونبئت عبد الله بالجوِّ أصبحت ... كرامًا مواليها لئيمًا صميمها

وزعم أن المعنى عنده نبئت عن عبد الله ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ قرأ سعيد ابن جبير: (أنها) بفتح الهمزة وهي في موضع نصب بمعنى لأنها ويجوز أن

يكون بدلًا من (ما) فيكون في موضع رفع إن كانت (ما) فاعلة الصد والكسر على الاستئناف.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: عن الإسلام، وإلا فلها من الذكاء والفطنة ما به تعرف الحق من الباطل ولكن العقائد الباطلة تذهب بصيرة القلب ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ فاستمرت على دينهم، وانفراد الواحد عن أهل الدين والعادة المستمرة بأمر يراه بعقله من ضلالهم وخطئهم من أندر ما يكون فلهذا لا يستغرب بقاؤها على الكفر، ثم إن سليمان أراد أن ترى من سلطانه ما يبهر العقول فأمرها أن تدخل الصرح وهي المجلس المرتفع المتسع وكان مجلسًا من قوارير تجري تحته الأنهار.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أنه قيل لملكة سبأ لما وصلت إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ وحدَّثها ببعض ما ذُكر، قيل لها ادخلي الصرح، وهو المكان الرحيب الفسيح الذي يكون في البيت أو أمامه فلما رأته حسبته لجة بحر؛ إذ قد كان - على ما ذكر عدد من العلماء - ماءٌ يجري وفوقه زجاج - فلم تتفطن لوجود الزجاج لشفافيته الزائدة فرأت الماء فكشفت عن ساقيها، فقال لها سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ إنه صرح مُمرد -مُصَنَّع من قوارير من زجاج- فما وسعها إلا الإقرار بالإسلام، والاعتراف بظلم النفس، فقالت معلنة عن إسلامها: ربِّ إني ظلمت

نفسي بما صدر مني من عبادة الشمس من دون الله، وأسلمت مع سليمان عليه السلام لله رب العالمين، وتدينت بدين الإسلام الذي هو الطاعة والانقياد لله مع الإقرار له بالوحدانية فلا شريك له ولا ربٌّ سواه.

قال الطبري رحمه الله:

ذُكر أن سليمان لما أقبلت صاحبة سبإ تريده، أمر الشياطين فبنوا له صرحًا، وهو كهيئة السطح من قوارير، وأجرى من تحته الماء ليختبر عقلها بذلك، وفهمها على نحو الذي كانت تفعل هي من توجيهها إليه الوصائف والوصفاء ليميز بين الذكور منهم والإناث معاتبة بذلك كذلك.

قال الطبري رحمه الله:

وقيل: إن سليمان إنما أمر ببناء الصرح على ما وصفه الله؛ لأن الجنّ خافت من سليمان أن يتزوّجها، فأرادوا أن يُزهِّدوه فيها، فقالوا: إن رجلها رجل حمار، وإن أمها كانت من الجنّ، فأراد سليمان أن يعلم حقيقة ما أخبرته الجنّ من ذلك.

وقال رحمه الله:

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ يقول: فلما رأت المرأة الصرح حسبته لبياضه واضطراب دواب الماء تحته لجة بحر، كشفت من ساقيها؛ لتخوضه إلى سليمان.

وقال رحمه الله:

وقوله: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: قال سليمان لها: إن هذا ليس ببحر، إنه صرح ممرّد من قوارير، يقول: إنما هو بناء مبني مشيد من قوارير.

وقوله: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ...﴾ الآية، يقول تعالى

MOSTAFABDW.COM

ذكره: قالت المرأة صاحبة سبإ: ربِّ إني ظلمت نفسي في عبادتي الشمس، وسجودي لما دونك ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ﴾ تقول: وانقدت مع سليمان مذعنة لله بالتوحيد، مفردة له بالألوهة والربوبية دون كل من سواه.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في: ﴿حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ قال: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ فعرفت أنها قد غلبت ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ وذلك أن سليمان عليه السلام أمر الشياطين فبنوا لها قصرًا عظيما من قوارير، أي: من زجاج، وأجرى تحته الماء، فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء، ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبينه. واختلفوا في السبب الذي دعا سليمان عليه السلام إلى اتخاذه، فقيل: إنه لما عزم على تزويجها واصطفائها لنفسه؛ ذكر له جمالها وحسنها، ولكن في ساقيها هُلْبٌ عظيم، ومؤخر أقدامها كمؤخر الدابة. فساءه ذلك، فاتخذ هذا ليعلم صحته أم لا؟ -هذا قول محمد بن كعب القُرَظي، وغيره- فلما دخلت وكشفت عن ساقيها، رأى أحسن الناس وأحسنه قدمًا، ولكن رأى على رجليها شعرًا؛ لأنها ملكة ليس لها بعل فأحب أن يذهب ذلك عنها فقيل لها: الموسى؟ فقالت: لا أستطيع ذلك. وكره سليمان ذلك، وقال للجنِّ: اصنعوا شيئًا غير الموسى يذهب به هذا الشعر، فصنعوا له النُّوْرَةَ. وكان أول من اتخذت له النّورَة[1].

❁ ❁ ❁

(١) وورد ذلك بأسانيد عن عددٍ من السلف لكن في جلِّها مقال، ولا يثبت منها شيء عن النبي ﷺ.

س: اذكر مزيدًا من الأقوال في تفسير الصرح.

ج: قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكان الصرح صحنًا من زجاج تحته ماء وفيه الحيتان، عمله ليريها مُلكًا أعظتم من ملكها قاله مجاهد وقال مجاهد: كان من قوارير خلفه ماء (حسبته لُجَّة) أي: ماء وقيل: الصرح القصر عن أبي عبيدة كما قال:

نحســـب أعلامهـــن الصُّـــروحا

وقيل: الصرح: الصحن كما يقال: هذه صرحة الدار وقاعتها بمعنى وحكى أبو عبيدة في الغريب المصنف أن الصرح كل بناء عالٍ مرتفعٍ من الأرض وأن الممرد الطويل. النحاس: أصل هذا أنه يقال لكل بناء عمل عملًا واحدًا صرح من قولهم: لبن صريح إذا لم يشبه ماء ومن قولهم: صرح بالأمر ومنه: عربي صريح وقيل: عمله ليختبر قول الجن فيها إن أمها من الجن ورجلها رجل حمار قاله وهب بن منبه. فلما رأت اللُّجة، فزعت وظنت أنه قصد بها الغرق: وتعجبت من كون كرسيه على الماء ورأت ما هالها ولم يكن لها بُدٌّ من امتثال الأمر ﴿وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ﴾ فإذا هي أحسن الناس ساقًا سليمة مما قالت الجن غير أنها كانت كثيرة الشعر، فلما بلغت هذا الحد، قال لها سليمان بعد أن صرف بصره عنها: ﴿إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ﴾ والممرد المحكوك المملس ومنه الأمرد وتمرد الرجل إذ أبطأ خروج لحيته بعد إدراكه قاله الفراء ومنه الشجرة المرداء التي لا ورق عليها ورملة مرداء إذا كانت لا تنبت والممرد أيضًا المطول ومنه قيل للحصن: مارد. أبو صالح: طويل على هيئة النخلة. وابن شجرة: واسع في طوله وعرضه.

Mostafa Adawy.com

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

أصل الصرح في كلام العرب: هو القصر، وكل بناء مرتفع، قال الله سبحانه وتعالى إخبارًا عن فرعون -لعنه الله -أنه قال لوزيره هامان: ﴿ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۝٣٦ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ الآية [غافر:٣٦، ٣٧].

والصرح: قصر في اليمن عالي البناء، والممرد أي: المبنى بناء محكمًا أملس ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ أي: زجاج. وتمريد البناء تمليسه. ومارد: حصن بدومة الجندل.

والغرض أن سليمان عليه السلام اتخذ قصرًا عظيمًا منيفًا من زجاج لهذه الملكة؛ ليُريها عظمة سلطانه وتمكنه، فلما رأت ما آتاه الله – تعالى- وجلالة ما هو فيه، وتبصرت في أمره انقادت لأمر الله وعَرَفت أنه نبيٌّ كريم، وملك عظيم، فأسلمت لله عز وجل وقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ أي: بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها الشمس من دون الله، ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: متابعة لدين سليمان في عبادته لله وحده، لا شريك له، الذي خلق كل شيء فقدَّره تقديرًا.

شيء من ذكر نبي الله صالح عليه السلام

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ
يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا
تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ
طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ
يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ
ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا
وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ
يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾)

[النمل: ٤٥-٥٣]

MOSTAFAALABD.COM

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿فَرِيقَانِ - يَخْتَصِمُونَ - تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ - اطَّيَّرْنَا بِكَ - طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ - تُفْتَنُونَ - تِسْعَةُ رَهْطٍ - تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ - لَنُبَيِّتَنَّهُ - لِوَلِيِّهِ - مَهْلِكَ أَهْلِهِ - وَمَكَرُوا مَكْرًا - عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ - خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿فَرِيقَانِ﴾	قسمان – فرقتان (مؤمنون وكافرون)
﴿يَخْتَصِمُونَ﴾	بينهما خصومة
﴿تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾	تطلبون العقوبة وتستعجلون وقوعها بدلًا من طلبكم الرحمة والعفو والمغفرة من الله
﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ﴾	تشاءمنا بك وبوجودك معنا (فمنذ أن رأيناك والمصائب تحل بنا)
﴿طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾	ما حلَّ بكم مقدَّرٌ عند الله – عذابكم مقدر من الله عليكم (بسبب كفركم)
﴿تُفْتَنُونَ﴾	تختبرون
﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾	تسعة أفراد
﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾	أقسم بعضهم لبعض بالله
﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾	لنقتلنه ليلًا
﴿لِوَلِيِّهِ﴾	لأقربائه وأولياء دمه وعصبته

MOSTAFAACADEMY.COM

﴿مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦٓ﴾	وقت هلاكه وهلاك أهله
﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا﴾	دبروا تدبيرًا، تآمروا مؤامرةً
﴿عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ﴾	نهاية أمر تدبيرهم – جزاء تآمرهم
﴿خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾	فارغة منهم، فقد أبيدوا وأهلكوا بسبب ظلمهم

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

ج: ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحًا عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك ما كانوا يعبدون من الأوثان والأصنام فاستجاب له فريق منهم وعارضه آخرون، وتخاصم الفريقان وطلب فريق الكفار نزول العذاب عليهم مكذبين به منكرين وقوعه فقالوا مكذبين وبعد أن عقروا الناقة التي أيَّدَ الله بها نبيه صالحًا عليه السلام: ﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧]، فقال لهم صالحٌ عليه السلام: يا قوم لم تطلبون نزول العذاب وحلوله بكم ولا تسألون الله أن يرحمكم، هلا استغفرتم الله وتبتم إليه وسألتموه أن يرحمكم لعلكم ترحمون؟!!!

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وَحده لا شريك له، ولا تجعلوا معه إلهًا غيره ﴿فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ﴾ يقول: فلما

Mostafa-Adly.com

أتاهم صالح داعيًا لهم إلى الله صار قومه من ثمود فيما دعاهم إليه فريقين يختصمون، ففريق مصدّق صالحا مؤمن به، وفريق مكذّب به كافر بما جاء به.

وقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: قال صالح لقومه: يا قوم لأيّ شيء تستعجلون بعذاب الله قبل الرحمة.

وقوله: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يقول: هلا تتوبون إلى الله من كفركم، فيغفر لكم ربكم عظيم جرمكم، يصفح لكم عن عقوبته إياكم على ما قد أتيتم من عظيم الخطيئة.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يقول: ليرحمكم ربكم باستغفاركم إياه من كفركم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن ثمود وما كان من أمرها مع نبيها صالح عليه السلام حين بعثه الله إليهم، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ قال مجاهد: مؤمن وكافر -كقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥، ٧٦]

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾، أي: لم تدعون بحضور العذاب، ولا تطلبون من الله رحمته؟ ولهذا قال: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

Mostafa Adawy.com

قولـه تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ تقـدم معنـاه ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ قال مجاهد: أي: مؤمن وكافر قال: والخصومة ما قصَّـه الله تعـالى في قولـه: ﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الأعـراف: ٧٥] إلى قوله: ﴿كَٰفِرُونَ ﴾ وقيل: تخاصمهم أن كل فرقة قالت: نحن على الحق دونكم.

قولـه تعـالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ قـال مجاهـد: بالعذاب قبل الرحمة المعنى: لم تؤخرون الإيمان الذي يجلب إليكم الثواب وتقدمون الكفر الذي يوجب العقاب فكان الكفار يقولون لفرط الإنكار: ايتنا بالعذاب وقيل: أي: لم تفعلون ما تستحقون به العقاب لا أنهم التمسوا تعجيل العذاب ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ ﴾ أي: هلا تتوبون إلى الله من الشرك ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ لكي ترحموا وقد تقدم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: أن قوم صالح عليه السلام لما دعاهم إلى الله عز وجل كذَّبوه وعارضوه، بل وتشاءموا بوجوده، فكلما حلَّت بهم مصيبة قالوا: إن المتسبب فيها صالح عليه السلام ومن معه، كأنهم قالوا: منذ أن رأيناكم والمصائب تحلُّ بنا فقال لهم صالح عليه السلام: بل الذي يقع بكم ويحلُّ بكم مقدرٌ من الله عز وجل عليكم، ولكنكم قوم تبتلون وتختبرون.

قال الطبري رحمه الله:

Mostafalady.com

يقول تعالى ذكره: قالت ثمود لرسولها صالح: ﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ أي: تشاءمنا بك وبمن معك من أتباعنا، وزجرنا الطير بأنا سيصيبنا بك وبهم المكاره والمصائب، فأجابهم صالح فقال لهم: ﴿طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه، لا يدري أيّ ذلك كائن، أما تظنون من المصائب أو المكاره، أم ما لا ترجونه من العافية والرجاء والمحاب.

وقوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ يقول: بل أنتم قوم تختبرون، يختبركم ربكم إذ أرسلني إليكم، أتطيعونه، فتعملون بما أمركم به، فيجزيكم الجزيل من ثوابه؟ أم تعصونه فتعملون بخلافه، فيحلّ بكم عقابه؟

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ أي: ما رأينا على وجهك ووجوه مَنِ اتبعك خيرًا. وذلك أنهم -لشقائهم -كان لا يصيب أحدًا منهم سوء إلا قال: هذا من قبل صالح وأصحابه.

قال مجاهد: تشاءموا بهم. وهذا كما قال تعالى إخبارًا عن قوم فرعون: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١]. وقال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] أي: بقضاء الله وقدره. وقال مخبرًا عن أهل القرية إذ جاءها المرسلون: ﴿قَالُوٓا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس: ١٨، ١٩]. وقال هؤلاء: ﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: الله يجازيكم على ذلك

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ قال قتادة: تبتلون بالطاعة والمعصية.

والظاهر أن المراد بقوله: ﴿تُفْتَنُونَ﴾ أي: تستدرجون فيما أنتم فيه من الضلال.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ أي تشاءمنا. والشؤم النحس. ولا شيء أضر بالرأي ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة. ومن ظن أن خوار بقرة أو نعيق غراب يرد قضاء، أو يدفع مقدورا فقد جهل. وقال الشاعر:

طيرة الدهر لا ترد قضاء ... فاعذر الدهر لا تشبه بلوم

أي يوم يخصه بسعود ... والمنايا ينزلن في كل يوم

ليس يوم إلا وفيه سعود ... ونحوس تجري لقوم فقوم

وقد كانت العرب أكثر الناس طيرة، وكانت إذا أرادت سفرا نفرت طائرا، فإذا طار يمنة سارت وتيمنت، وإن طار شمالا رجعت وتشاءمت.

﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ أي مصائبكم. ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ أي تمتحنون. وقيل: تعذبون بذنوبكم.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ (أضواء البيان):

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾، قال بعض العلماء: تختبرون. وقال بعضهم: تعذبون؛ كقوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]، وقد قدمنا أن أصل الفتنة في اللغة، وضع الذهب في النار ليختبر بالسبك أزائف هو أم خالص؟ وأنها أطلقت في القرآن على أربعة معانٍ:

الأول: إطلاقها على الإحراق بالنار؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾،

Mostafawy.com

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [البروج: ١٠]، أي: حرقوهم بنار الأخدود على أحد التفسيرين، وقد اختاره بعض المحققين.

المعنى الثاني: إطلاق الفتنة على الاختبار، وهذا هو أكثرها استعمالاً؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝١٦ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٦، ١٧]، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

الثالث: إطلاق الفتنة على نتيجة الاختبار إن كانت سيئة خاصة، ومن هنا أطلقت الفتنة على الكفر والضلال؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، أي: لا يبقى شرك، وهذا التفسير الصحيح، دلَّ عليه الكتاب والسنة.

أما الكتاب: فقد دلَّ عليه قوله بعده في «البقرة»: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾، وفي «الأنفال»: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾، فإنه يوضح أن معنى: ﴿لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، أي: لا يبقى شرك؛ لأن الدين لا يكون كله لله، ما دام في الأرض مشرك، كما ترى.

وأما السنة: ففي قوله ﷺ: «**أمرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله**»، الحديث. فقد جعل ﷺ الغاية التي ينتهي إليها قتاله للناس، هي شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وهو واضح في أن معنى: ﴿لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: لا يبقى شرك، فالآية والحديث كلاهما دال على أن الغاية التي ينتهي إليها قتال الكفار هي ألا يبقى في الأرض شرك، إلا أنه تعالى في الآية عبر عن هذا المعنى بقوله: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، وقد عبّر ﷺ عنه بقوله: «**حتى يشهدوا ألا إله إلا الله**»، فالغاية في الآية والحديث واحدة في المعنى، كما ترى.

الرابع: هو إطلاق الفتنة على الحجة، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ

أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣]، أي: لم تكن حجتهم، كما قاله غير واحد، والعلم عند الله تعالى.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

ج: هذا – والله أعلم – إخبار عن مكر قوم صالح عليه السلام بنبيهم، وكيف أن الله عز وجل قد انتقم منهم فقد كان في المدينة تسعة أشخاص تسعة نفر هم أكابر المجرمين فيها كثيرو الإفساد فيها بالكفر والظلم والدعوة إلى الكفر، وقد قيل: إنهم الذين حرضوا على قتل الناقة، الحاصل أن شأنهم الإفساد في الأرض وعدم الإصلاح فكل عملهم فساد، فتآمر هؤلاء فيما بينهم واجتمعوا وأقسم بعضهم لبعض بالله لنقتلن صالحًا وأهله من الليل ثم إذا التقينا بأولياء الدم، أولياء صالح لنقولن لهم: ما حضرنا قتل أهله، ولا رأينا ذلك ولا نعلم عن ذلك شيئًا، وإننا لصادقون فيما نقوله لكم فنووا القتل، وعزموا على الكذب.

وبنحوه قال العلماء.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وكان في مدينة صالح، وهي حِجر ثمود، تسعة أنفس يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وكان إفسادهم في الأرض، كفرهم بالله، ومعصيتهم إياه، وإنما خصّ الله جلّ ثناؤه هؤلاء التسعة الرهط بالخبر عنهم أنهم كانوا يفسدون في الأرض، ولا يصلحون، وإن كان أهل الكفر كلهم في الأرض مفسدين؛ لأن هؤلاء التسعة هم الذين سعوا فيما بلغنا في عقر الناقة،

MostafaAbbas.com

وتعاونوا عليه، وتحالفوا على قتل صالح من بين قوم ثمود. وقد ذكرنا قصصهم وأخبارهم فيما مضى من كتابنا هذا.

وقوله: ﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء التسعة الرهط الذين يُفسدون في أرض حجر ثمود، ولا يصلحون. تقاسموا بالله: تحالفوا بالله أيها القوم، ليحلف بعضكم لبعض: لنبيتن صالحًا وأهله، فلنقتلنه، ثم لنقولن لوليه: ما شهدنا مهلك أهله.

وأورد الطبري[1] بإسناده إلى ابن إسحاق: قال التسعة الذين عقروا الناقة: هلم فلنقتل صالحًا، فإن كان صادقًا -يعني فيما وعدهم من العذاب بعد الثلاث- عجلناه قبله، وإن كان كاذبًا نكون قد ألحقناه بناقته، فأتوه ليلًا ليبيتوه في أهله، فدمغتهم الملائكة بالحجارة؛ فلما أبطئوا على أصحابهم أتوا منزل صالح، فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ نقول لوليه -وإنا لصادقون- أنا ما شهدنا مهلك أهله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن طغاة ثمود ورؤوسهم، الذين كانوا دعاة قومهم إلى الضلالة والكفر وتكذيب صالح، وآل بهم الحال إلى أنهم عقروا الناقة، وهمُّوا بقتل صالح أيضًا، بأن يبيتوه في أهله ليلًا فيقتلوه غيْلَة، ثم يقولوا لأوليائه من أقربيه: إنهم ما علموا بشيء من أمره، وإنهم لصادقون فيما أخبروهم به، من أنهم لم يشاهدوا ذلك، فقال تعالى: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ أي: مدينة ثمود، ﴿تِسْعَةُ

(١) وفي سنده إلى ابن إسحاق عند الطبري ضعف، ولكن بين ابن إسحاق والقصة بون شاسع.

MOSTAFALADAWY.COM

رَهْطٍ ﴾ أي: تسعة نفر، ﴿ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ وإنما غلب هؤلاء على أمر ثمود؛ لأنهم كانوا كبراء فيهم ورؤساءهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكانوا أهل كفر ومعاصٍ جمة، وجملة أمرهم أنهم يفسدون ولا يصلحون والرهط اسم للجماعة فكأنهم كانوا رؤساء يتبع كل واحد منهم رهط والجمع أرهط وأراهط قال:

يا بؤس للحرب التي وضعت أرهط فاستراحوا

وهؤلاء المذكورون كانوا أصحاب قدار عاقر الناقة ذكره ابن عطية.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – ودبَّر أهل الإجرام من قوم صالح، وهم التسعة نفر، دبروا لصالح عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهله كي يقتلوه ويقتلوا أهله ودبَّر الله وَعَجَّلَ لهم ومكر بهم، فهم يرتبون لقتل صالح ومن معه، وربي وَعَجَّلَ يستدرجهم من حيث لا يعلمون، فانظر بعين الاعتبار وبعين التفكر والتدبر إلى ماذا آل أمر هؤلاء وكيف كانت عاقبتهم، لقد دمرهم الله وَعَجَّلَ ودمر قومهم أجمعين، فها هي بيوتهم فارغةً منهم شاهدة على الدمار الذي حلَّ بهم وعلى النكال الذي نالهم والعذاب الذي أصابهم إن في ذلك لدلالة وعلامة على قدرتنا وانتقامنا من أعدائنا، لدلالة لقوم يعلمون قدرتنا، ويعلمون وحدانيتنا وأنه لا شريك لنا في ملكنا، ثم يخبر تعالى عن مصير أهل الإيمان والتقوى، أهل التوحيد وطاعة

MostafaDaw.com

الله فيقول تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ كانوا يتقون الشرك بالله، ويتقون عذاب الله وغضبه وعقابه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض بصالح بمصيرهم إليه ليلًا ليقتلوه وأهله، وصالح لا يشعر بذلك ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ يقول: فأخذناهم بعقوبتنا إياهم، وتعجيلنا العذاب لهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمكرنا.

وقد بيَّنا فيما مضى معنى: مكر الله، بمن مكر به، وما وجه ذلك، وأنه أخذه من أخذه منهم على غرة، أو استدراجه منهم من استدرج على كفره به، ومعصيته إياه، ثم إحلاله العقوبة به على غرة وغفلة.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ قال: احتالوا لأمرهم، واحتال الله لهم، مكروا بصالح مكرًا، ومكرنا بهم مكرًا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمكرنا وشعرنا بمكرهم، قالوا: زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنحن نفرغ منه وأهله قبل ذلك، وكان له مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه، فخرجوا إلى كهف وقالوا: إذا جاء يصلي قتلناه، ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله، ففرغنا منهم، وقرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم، فخشوا أن تشدخهم، فبادروا الغار، فطبقت الصخرة عليهم فم ذلك الغار، فلا يدري قومهم أين هم؟ ولا يدرون ما فعل بقومهم، فعذب الله تبارك وتعالى هؤلاء ههنا، وهؤلاء هنا، وأنجى الله صالحًا ومن معه.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ﴾ يقول تعالى ذكره: فانظر يا محمد بعين قلبك إلى عاقبة غدر ثمود بنبيهم صالح، كيف كانت؟ وما الذي أورثها اعتداؤهم وطغيانهم وتكذيبهم؟ فإن ذلك سنتنا فيمن كذب رسلنا، وطغى علينا من سائر الخلق، فحَذِّرْ قومك من قريش، أن ينالهم بتكذيبهم إياك، ما نال ثمود بتكذيبهم صالحا من المثلات.

وقوله: ﴿أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ يقول: إنا دمرنا التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض من قوم صالح وقومهم من ثمود أجمعين، فلم نبق منهم أحدًا.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ﴾ فتلك مساكنهم خاوية خالية منهم، ليس فيها منهم أحد، قد أهلكهم الله فأبادهم ﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْۗ﴾ يقول تعالى ذكره: بظلمهم أنفسهم بشركهم بالله، وتكذيبهم رسولهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في فعلنا بثمود ما قصصنا عليك يا محمد من القصة، لعظة لمن يعلم فعلنا بهم ما فعلنا، من قومك الذين يكذِّبونك فيما جئتهم به من عند ربك وعِبرة.

﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يقول: وأنجينا من نقمتنا وعذابنا الذي أحللناه بثمود رسولنا صالحًا والمؤمنين به. ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ يقول: وكانوا يتقون بإيمانهم، وبتصديقهم صالحًا الذي حلَّ بقومهم من ثمود ما حل بهم من عذاب الله، فكذلك ننجيك يا محمد وأتباعك، عند إحلالنا عقوبتنا بمشركي قومك من بين أظهرهم.

وذكر أن صالحًا لما أحل الله بقومه ما أحل، خرج هو والمؤمنون به إلى الشام، فنزل رملة فلسطين.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: لما عقروا الناقة وقال لهم صالح: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥]، قالوا: زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاثة أيام، فنحن نفرغ منه وأهله قبل ثلاث. وكان لصالح مسجد في الحجْر عند شعب هناك يصلي فيه، فخرجوا إلى كهف، أي: غار هناك ليلًا فقالوا: إذا جاء يصلي قتلناه، ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله، ففرغنا منهم. فبعث الله صخرة من الهضَب حيالهم، فخشوا أن تشدخهم فتبادروا فانطبقت عليهم الصخرة وهم في ذلك الغار، فلا يدري قومهم أين هم، ولا يدرون ما فعل بقومهم. فعذب الله هؤلاء هاهنا، وهؤلاء هاهنا، وأنجى الله صالحًا ومن معه، ثم قرأ: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ أي: فارغة ليس فيها أحد ﴿بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

❁ ❁ ❁

س: كيف أنجى الله عَزَّوَجَلَّ صالحًا والمؤمنين معه من العذاب الذي أنزله على القوم الكافرين؟

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن صالحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ خرج بمن آمن معه وتركوا البلاد فنزل بأهلها العذاب هذا، وقد ذكر البعض في كيفية الإنجاء أقوالًا لا أعلم لها مستندًا صحيحًا، ولكن يقينًا فإن الله عَزَّوَجَلَّ أنجاهم.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

MOSTAFA ADEL .com

قيل: آمن بصالح قدر أربعة آلاف رجل والباقون خرج بأبدانهم - في قول مقاتل وغيره - خراج مثل الحمص وكان في اليوم الأول أحمر ثم صار من الغد أصفر، ثم صار في الثالث أسود وكان عقر الناقة يوم الأربعاء وهلاكهم يوم الأحد. قال مقاتل: فقعت تلك الخراجات وصاح جبريل بهم خلال ذلك صيحة فخمدوا وكان ذلك ضحوة وخرج صالح بمن آمن معه إلى حضرموت فلما دخلها مات صالح فسُمِّيت حضرموت. قال الضحاك: ثم بنى الأربعة الآلاف مدينة يقال لها: حاضورا.

وكما أسلفت فليس لهذه الأقوال كبير مستندٍ ولكن الله أنجاهم كما أخبر على وجه الإجمال والله أعلم.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALSAYED.COM

شيءٌ من ذِكر نبي الله لوط عليه السلام

قَالَ اللَّهِ تَعَالَىٰ:

(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾
أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا
كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ
يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ [النمل: ٥٤-٥٨].

MOSTAFAALADWY.COM

س: وضح معنى ما يلي:

﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ - تُبْصِرُونَ - لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ - تَجْهَلُونَ - يَتَطَهَّرُونَ - قَدَّرْنَٰهَا - ٱلْغَٰبِرِينَ - وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا - فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾	أتفعلون الفعلة الفاحشة
﴿تُبْصِرُونَ﴾	يرى بعضكم بعضًا أمام بعضكم- تعلمون أنها فاحشة
﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾	لتجامعون الرجال في أدبارهم بدلًا من النساء
﴿تَجْهَلُونَ﴾	تجهلون عاقبة أمركم – تفعلون فعل الجهلاء
﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾	يتنزهون عن أدبار الرجال – لا يأتون الرجال
﴿قَدَّرْنَٰهَا﴾	كتبنا عليها
﴿ٱلْغَٰبِرِينَ﴾	الباقين في العذاب – الهالكين
﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾	أرسلنا عليهم حجارةً
﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾	فساء ذلك المطر من أُنذروا وحُذِّروا فلم يقبلوا ولم يحذروا، أي: فساءهم ذلك المطر وما سرهم وما فرحوا به بل كان نكدًا عليهم وكربا عليهم وبلاء

MOSTAFAADEL.COM

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: واذكر نبي الله لوطًا عليه السلام إذ قال لقومه الذين كانوا يرتكبون الفواحش القذرة المستقذرة التي لم يسبقهم إليها أحدٌ، فقد كانوا يأتون الذكران من العالمين، كان الرجل يجامع الرجل، ويترك جماع النساء، كانوا يفعلون ذلك أمام بعضهم البعض، يُبصر بعضهم بعضًا وهم يفعلون تلك الفاحشة، يفعلونها وهم يعلمون أنها فاحشة، وأنهم لم يسبقهم بها أحدٌ، فقد كانوا أهل جهلٍ وغباء، يجهلون حتى الآداب والأخلاق، فضلًا عن جهلهم بشرائع الله واستخفافهم بها، يجهلون عقوبة من فعل ذلك ليس جهلًا عن قلة علم، بل جهل المستخف المستهزئ المنكر الجاحد، وإلا فقد حذرهم لوطٌ عليه السلام أشد التحذير، ونصحهم أبلغ نُصح وذكَّرهم أجمل تذكير، ولكن ما انتفعوا بشيء من ذلك، فما كان جواب قومه إلا أن طالبوا بإخراجه وإخراج أهله من بلادهم لا لجرمٍ فعلوه، ولكن أخرجوهم لتطهرهم!!

أخرجوهم لبعدهم عن الفواحش؟!!

أخرجوهم لامتناعهم عن أدبار الرجال ومجامعة الرجال؟!!

فحقًّا إنها انتكاسات في الأفهام، وانتكاسات في الأخلاق فضلًا عن ضياع الدين وذهابه؛ إذ يريدون إخراج المتطهر من بينهم، وطرده من بينهم.

أصبح التطهر – في عُرْف قوم لوط – جريمة يستحق فاعلها الطرد من

Mostafa Adly.com

البلاد والإخراج منها.

فهكذا حين يُطمس على القلوب، يصبح الحق باطلًا في الأفهام ويصبح المنكر معروفًا في الأذهان، ويُطرد أهل الفضل والصلاح من البلاد، ويبقى الأشرار والأراذل وأهل الإجرام.

ولكن ربي بالمرصاد، بالمرصاد لكل من خالف شرعه وعاند رسله وكذبهم، ربي يكرم أولياءه وينتقم من أعدائه، قال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ ﴾ فقد كانت خائنة له في دينها تدل أهل الشرك على خباياه، وعلى من آمن به فيسومونهم سوء العذاب، تدل على أضيافه إذا جاءه أضياف فلذا قدَّر الله عليها أن تكون من المعذبين، من الغابرين الباقين في العذاب الذي لحق بقوم لوط ألا وهو المطر ولكن أي مطر! إنها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك، كل حجر عليه اسم صاحبه، حجارة من سجيل منضود، بعد أن قلَّب الله قريتهم، بعد أن جعل عاليها سافلها، أمطر عليها حجارة من سجيل منضود، فساء هذا المطر وبئس هذا المطر الذي أُمطر على هؤلاء القوم الذين أُنذروا فلم ينتفعوا بالنذر ولم تغن عنهم النذر.

وبنحو ما ذُكِرَ قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وأرسلنا لوطًا إلى قومه؛ إذ قال لهم: يا قوم ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ أنها فاحشة؛ لعلمكم بأنه لم يسبقكم إلى ما تفعلون من ذلك أحد. وقوله: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً ﴾ منكم بذلك من دون فروج النساء التي أباحها الله لكم بالنكاح. وقوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ يقول: ما

MOSTAFALADAWY.COM

ذلك منكم إلا أنكم قوم سفهاء جهلة بعظيم حق الله عليكم، فخالفتم لذلك أمره، وعصيتم رسوله.

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فلم يكن لقوم لوط جواب له؛ إذ نهاهم عما أمره الله بنهيهم عنه من إتيان الرجال، إلا قيل بعضهم لبعض: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ عما نفعله نحن من إتيان الذكران في أدبارهم.

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فأنجينا لوطًا وأهله سوى امرأته من عذابنا حين أحللناه بهم، ثم ﴿قَدَّرْنَٰهَا﴾ يقول: فإن امرأته قدرناها: جعلناها بتقديرنا ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ من الباقين ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ﴾ وهو إمطار الله عليهم من السماء حجارة من سجيل ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ يقول: فساء ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم الله عقابه على معصيتهم إياه، وخوفهم بأسه بإرسال الرسول إليهم بذلك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن عبده لوط عليه السلام، أنه أنذر قومه نقمة الله بهم، في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم، وهي إتيان الذكور دون الإناث، وذلك فاحشة عظيمة، استغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، قال: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي: يرى بعضكم بعضًا، وتأتون في ناديكم المنكر؟

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ أي: لا تعرفون شيئًا لا طبعًا ولا شرعًا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء: ١٦٥، ١٦٦].

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ أي: يتحرجون من فعل ما تفعلونه، ومن إقراركم على صنيعكم، فأخرجوهم من بين أظهركم فإنهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم. فعزموا على ذلك، فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها.

قال الله تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ أي: من الهالكين مع قومها؛ لأنها كانت ردءًا لهم على دينهم، وعلى طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة، فكانت تدل قومها على ضيفان لوط؛ ليأتوا إليهم، لا أنها كانت تفعل الفواحش تكرمة لنبي الله ﷺ لا كرامة لها.

وقوله: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ ﴾ أي: حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد؛ ولهذا قال: ﴿ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ أي: الذين قامت عليهم الحجة، ووصل إليهم الإنذار، فخالفوا الرسول وكذبوه، وَهمُّوا بإخراجه من بينهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ ﴾ أي: وأرسلنا لوطًا أو اذكر لوطًا ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ ﴾ وهم أهل سدوهم وقال لقومه: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ ﴾ الفعلة القبيحة الشنيعة ﴿ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ أنها فاحشة وذلك أعظم لذنوبكم وقيل: يأتي بعضكم بعضًا وأنتم تنظرون إليه وكانوا لا يسترون عتوًّا منهم

وتمـردًا. ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ أعـاد ذكرهـا لفـرط قبحهـا وشـنعتها ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ إمـا أمـر التحـريم أو العقوبـة واختيـار الخليـل وسيبويه تخفيف الهمزة الثانية من ﴿ أَئِنَّكُمْ ﴾ فأما الخط فالسبيل فيه أن يكتب بألفين على الوجوه كلها؛ لأنها همزة مبتدأة دخلت عليها ألف الاستفهام.

قوله تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ أي: عن أدبار الرجال يقولون ذلك استهزاء منهم قاله مجاهد. وقـال قتـادة: عـابوهم والله بغيـر عيـب بـأنهم يتطهـرون مـن أعمـال السـوء. ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴾ وقـرأ عاصـم: (قَـدَّرْنَا) مخففًـا والمعنى واحد ويقال: قد قدرت الشيء قدرا وقدرا وقدرته. قوله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ أي: من أنذر فلم يقبل الإنذار.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALABW.COM

بعض الأدلة على وحدانية الله ﷻ

قَالَ اللَّهِ تَعَالَىٰ:

(قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾
أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ
حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ
هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا
رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا
يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ
خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ
فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ
ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل
لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ
ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾)

[النمل: ٥٩-٦٥]

Rashwan.com

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱصْطَفَىٰٓ - حَدَآئِقَ - ذَاتَ بَهْجَةٍ - يَعْدِلُونَ - قَرَارًا - خِلَٰلَهَآ - رَوَٰسِيَ - حَاجِزًا - ٱلْمُضْطَرَّ - وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ - خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ - تَذَكَّرُونَ - يَهْدِيكُمْ - بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ - تَعَٰلَى ٱللَّهُ - يَبْدَؤُا - يُعِيدُهُۥ - بُرْهَٰنَكُمْ - ٱلْغَيْبَ - أَيَّانَ - أَدَّٰرَكَ - شَكٍّ - عَمُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱصْطَفَىٰٓ﴾	اختار ووفق للإيمان، اختار للرسالة وللنبوة
﴿حَدَآئِقَ﴾	بساتين
﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾	ذات منظر حسن بهيج يسر الناظرين
﴿يَعْدِلُونَ﴾	يميلون عن عبادته إلى عبادة غيره – يُساوون بين الله وغيره
﴿قَرَارًا﴾	مستقرة ساكنة
﴿خِلَٰلَهَآ﴾	بينها
﴿رَوَٰسِيَ﴾	جبالًا
﴿حَاجِزًا﴾	مانعًا من اختلاط العذب بالمالح
﴿ٱلْمُضْطَرَّ﴾	الذي ألجأته الضرورة والحاجة وانقطع رجاؤه في الخلق ولم يعدله من ينتظر عنده الفرج إلا الله فلجأ إليه
﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾	يعافي من البلاء – يصرف المكروه
﴿خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾	يخلف بعضكم بعضًا – يأتي بعضكم خلفًا للآخر

MOSTAFALAWY.COM

﴿تَذَكَّرُونَ﴾	تتعظون وتعتبرون
﴿يَهْدِيكُمْ﴾	يرشدكم
﴿بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾	مبشرات بالخير قبل نزول المطر
﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾	تعاظم الله وتنزَّه
﴿يَبْدَؤُا﴾	يخلق الخلق لأول مرة
﴿يُعِيدُهُۥ﴾	يبعثه يوم القيامة
﴿بُرْهَٰنَكُمْ﴾	حجتكم ودليلكم
﴿ٱلْغَيْبَ﴾	ما غاب عن البشر واستأثر الله ﷻ بعلمه كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ...﴾ الآية.
﴿أَيَّانَ﴾	متى
﴿ٱدَّٰرَكَ﴾	تتام وتكامل – تتابع وتوارد
﴿شَكٍّ﴾	ريب من وقوعها
﴿عَمُونَ﴾	العمه عمى القلب، والعمى عمى البصر

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ﴿قُلِ﴾ (يا رسول الله) وكذا قل يا عبد الله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على نعمه التي لا تُحصى، تلك النعم السابغة الظاهرة والباطنة وعلى آلائه التي لا تُعد.

mostafalaw.com

الحمد لله على نعمة الإسلام والإيمان، وكذا الحمد لله على انتقامه من الظالمين كقوم لوط وثمود وغيرهم ﴿وَسَلَٰمٌ﴾ وأمانٌ من الله ﷻ وسلامة لهم من العذاب، سلام على هؤلاء المرسلين الذين اصطفاهم الله، أمانٌ عليهم فقد أمَّنهم الله وحفظهم، سلام على أمة محمد ﷺ أمان لها مما أصاب به ربنا قوم لوط الأشرار، سلام على أهل التوحيد، وقل يا رسول الله لأهل الشرك هؤلاء: آلله خيرٌ وعبادة الله وحده لا شريك له خيرٌ أم هذه الأوثان وتلك الأصنام والآلهة الباطلة وعبادتها والركوع لها والسجود؟!

فبلا شك أن الله ﷻ خير وبلا ريب ولا تردد فعبادة الله خير ولكن سلهم هذا السؤال على سبيل التوبيخ والتأنيب والتبكيت. والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على نعمه علينا، وتوفيقه إيانا لما وفَّقنا من الهداية، ﴿وَسَلَٰمٌ﴾ يقول: وأمنة منه من عقابه الذي عاقب به قوم لوط، وقوم صالح، على الذين اصطفاهم، يقول: الذين اجتباهم لنبيه محمد ﷺ، فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدِّين الذي بعثه بالدعاء إليه دون المشركين به، الجاحدين نبوة نبيه.

وقوله: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء الذين زيَّنا لهم أعمالهم من قومك فهم يعمهون: آلله الذي أنعم على أوليائه هذه النعم التي قصَّها عليكم في هذه السورة، وأهلك أعداءه بالذي أهلكهم به من صنوف العذاب التي ذكرها لكم فيها خير، أما تشركون من أوثانكم التي لا تنفعكم ولا تضركم، ولا تدفع عن أنفسها، ولا عن أوليائها سوءًا، ولا تجلب إليها ولا إليهم نفعا؟ يقول: إن هذا الأمر لا يشكل على من له عقل، فكيف تستجيزون أن تشركوا

MOSTAFAABDY.COM

عبادة من لا نفع عنده لكم، ولا دفع ضر عنكم في عبادة من بيده النفع والضرّ وله كل شيء؟ ثم ابتدأ تعالى ذكره تعديد نعمه عليهم، وأياديه عندهم، وتعريفهم بقلة شكرهم إياه على ما أولاهم من ذلك، فقال: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا رسوله ﷺ أن يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: على نعَمه على عباده، من النعم التي لا تعدُّ ولا تُحصى، وعلى ما اتصف به من الصفات العُلى والأسماء الحسنى، وأن يُسَلِّم على عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم، وهم رسله وأنبياؤه الكرام - عليهم من الله الصلاة والسلام - هكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغيره: إن المراد بعباده الذين اصطفى: هم الأنبياء، قال: وهو كقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

وقال الثوري، والسدي: هم أصحاب محمد ﷺ، ورضي عنهم أجمعين، وروي نحوه عن ابن عباس.

ولا منافاة، فإنهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى، فالأنبياء بطريق الأولى والأحرى، والقصد أن الله تعالى أمر رسوله ومن اتبعه بعد ما ذكر لهم ما فعل بأوليائه من النجاة والنصر والتأييد، وما أحل بأعدائه من الخزي والنكال والقهر، أن يحمدوه على جميل أفعاله، وأن يسلموا على عباده المصطفين الأخيار.

قوله: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: استفهام إنكار على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة أخرى.

ثم شرع تعالى يبين أنه المتفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره.

MOSTAFAALDIW.COM

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ قال الفراء: قال أهل المعاني: قيل للوط: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على هلاكهم وخالف جماعة من العلماء الفراء في هذا وقالوا: هو مخاطبة لنبينا محمد ﷺ أي: قل الحمد لله على هلاك كفار الأمم الخالية. قال النحاس: وهذا أولى لأن القرآن مُنزَّل على النبي ﷺ وكل ما فيه فهو مخاطب به عليه السلام إلا ما لا يصح معناه إلا لغيره وقيل: المعنى أي: ﴿ قُلِ ﴾ يا محمد ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ يعني: أمته عليه السلام قال الكلبي: اصطفاهم الله بمعرفته وطاعته وقال ابن عباس وسفيان: هم أصحاب محمد ﷺ وقيل: أمر رسول الله ﷺ أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وأن يستفتح بتحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على أدب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى إلى السامعين وإصغائهم إليه وإنزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المستمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرًا عن كابر هذا الأدب فحمدوا الله وصلوا على رسول الله ﷺ أمام كل علم مفاد وقبل كل عِظة وفي مفتتح كل خُطبة وتبعهم المترسلون فأجروا عليه أوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن.

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ اختار أي: لرسالته وهم الأنبياء عليهم السلام ودليله قوله تعالى: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ١٨١].

❁ ❁ ❁

س: من هم العباد الذين اصطفاهم الله؟

ج: هؤلاء هم المرسلون، وكذا هم أمة محمد ﷺ وكذا السابقون من سائر الأمم.

قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [الواقعة: ١٠-١١].

❁ ❁ ❁

س: معلوم أن الأصنام ليس فيها خيرٌ على الإطلاق ولا في عبادتها أي خيرٌ، فكيف يوجه قوله تعالى: ﴿ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ ؟

ج: هذا – والله أعلم – من باب أفعل التفضيل الذي ليس في المقابل منه شيء.

كقوله تعالى: ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٤].

وليس في أصحاب النار خيرٌ.

وكقول الصحابيات لعمر رضي الله عنه: «أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ»

وليس في رسول الله ﷺ أية فظاظة ولا أية غلظة.

هذا وقد قال القرطبي رحمه الله:

(خير) ههنا ليس بمعنى أفضل منك وإنما هو مثل قول الشاعر:

أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

فالمعنى: فالذي فيه الشر منكما للذي فيه الخير الفداء ولا يجوز أن يكون بمعنى (من) لأنك إذا قلت: فلان شرٌّ من فلان ففي كل واحد منهما شرٌّ وقيل:

MOSTAFALAWY.COM

المعنى: الخير في هذا أم في هذا الذي تشركونه في العبادة ! وحكى سيبويه: السعادة أحب إليك أم الشقاء وهو يعلم أن السعادة أحب إليه وقيل: هو على بابه من التفضيل والمعنى: الله خير أم ما تشكرون، أي: أثوابه خير أم عقاب ما تشركون وقيل: قال لهم ذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن في عبادة الأصنام خيرًا فخاطبهم الله ﷻ على اعتقادهم وقيل: اللفظ لفظ الاستفهام ومعناه الخبر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: آلهتكم خيرٌ وعبادتها خيرٌ أم الله ﷻ وعبادته وحده لا شريك له، ذلكم الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً يغيثكم به وينفعكم به ويحييكم به فأنبت به بساتين وحدائق ذات منظرٍ حسن بهيج ما كان بإمكانكم ولا باستطاعتكم أبدًا أن تنبتوا شجرها أمعبود يُعبد مع الله فعل هذا؟؟

كلا فلا معبود مع الله يقدر على فعل هذا، ولكنهم قوم ينصرفون عن عبادة الله إلى عبادة غيره، ويجعلون ربًّا لهم مع الله ﷻ يدعونه ويرجونه ويسألونه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمشركين به من قُريش: أعبادة ما تعبدون من أوثانكم التي لا تضر ولا تنفع خيرٌ، أم عبادة من خلق السموات والأرض؟ ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني: مطرًا، وقد يجوز أن يكون مريدًا به العيون التي

mostafabdw.com

فجَّرها في الأرض؛ لأن كل ذلك من خلقه ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ﴾ يعني: بالماء الذي أنزل من السماء ﴿حَدَآئِقَ﴾ وهي جمع حديقة، والحديقة: البستان عليه حائط محوط، وإن لم يكن عليه حائط لم يكن حديقة. وقوله: ﴿ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾ يقول: ذات منظر حسن. وقيل: ذات بالتوحيد. وقد قيل: حدائق، كما قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقد بيَّنت ذلك فيما مضى.

وقوله: ﴿مَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ﴾ يقول تعالى ذكره: أنبتنا بالماء الذي أنزلناه من السماء لكم هذه الحدائق؛ إذ لم يكن لكم لولا أنه أنزل عليكم الماء من السماء، طاقة أن تنبتوا شجر هذه الحدائق، ولم تكونوا قادرين على ذهاب ذلك؛ لأنه لا يصلح ذلك إلا بالماء.

وقوله: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ يقول تعالى ذكره: أمعبود مع الله أيها الجهلة خلق ذلك، وأنزل من السماء الماء، فأنبت به لكم الحدائق؟ فقوله: ﴿أَءِلَٰهٞ﴾ مردود على تأويل: أمع الله إله، ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: بل هؤلاء المشركون قوم ضلال، يعدلون عن الحق، ويجورون عليه، على عمد منهم لذلك، مع علمهم بأنهم على خطإ وضلال ولم يعدلوا عن جهل منهم، بأن من لا يقدر على نفع ولا ضر، خير ممن خلق السموات والأرض، وفعل هذه الأفعال، ولكنهم عدلوا على علم منهم ومعرفة، اقتفاء منهم سُنة من مضى قبلهم من آبائهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقال: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ أي: تلك السموات بارتفاعها وصفائها وما جعل فيها من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة والأفلاك الدائرة، والأرض باستفالها وكثافتها، وما جعل فيها من الجبال والأوعار والسهول، والفيافي

والقفار، والأشجار والزروع، والثمار والبحور والحيوان على اختلاف الأصناف والأشكال والألوان وغير ذلك.

وقوله: ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ أي: جعله رزقا للعباد، ﴿ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ﴾ أي: بساتين ﴿ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا ﴾ أي: منظر حسن وشكل بهي، ﴿ كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ﴾ أي: لم تكونوا تقدرون على إنبات شجرها، وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق، المستقل بذلك المنفرد به، دون ما سواه من الأصنام والأنداد، كما يعترف به هؤلاء المشركون، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [العنكبوت: ٦٣] أي: هم معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له، ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق، وإنما يستحق أن يُفرَدَ بالعبادة مَن هو المتفرد بالخلق والرزق؛ ولهذا قال: ﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ أي: أإله مع الله يعبد. وقد تبين لكم، ولكل ذي لُبٍّ مما يعرفون به أيضًا أنه الخالق الرازق.

ومن المفسرين من يقول: معنى قوله: ﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ أي: أإله مع الله فعل هذا. وهو يرجع إلى معنى الأول؛ لأن تقدير الجواب أنهم يقولون: ليس ثَمَّ أحدٌ فعل هذا معه، بل هو المتفرد به. فيقال: فكيف تعبدون معه غيره وهو المستقل المتفرد بالخلق والتدبير؟ كما قال: ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ ﴾ [النحل: ١٧].

وقوله هاهنا: ﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾: ﴿ أَمَّنۡ ﴾ في هذه الآيات تقديره: أمن يفعل هذه الأشياء كَمَنْ لا يقدر على شيء منها؟ هذا معنى السياق وإن لم يذكر الآخر؛ لأن في قوة الكلام ما يرشد إلى ذلك، وقد قال: ﴿ ءَإِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴾.

ثم قال في آخر الآية: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ أي: يجعلون لله عدلًا ونظيرًا. وهكذا قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٩] أي: أمن هو هكذا كَمَنْ ليس كذلك؟ ولهذا قال: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر: ٢٢]، وقال: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد: ٣٣] أي: أَمَنْ هو شهيد على أفعال الخلق حركاتهم وسكناتهم، يعلم الغيب جليله وحقيره، كَمَنْ هو لا يعلم ولا يسمع ولا يبصر من هذه الأصنام التي عبدوها؟ ولهذا قال: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ ﴾ [الرعد: ٣٣]، وهكذا هذه الآيات الكريمات كلها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ قال أبو حاتم: تقديره آلهتكم خير أم من خلق السموات والأرض وقد تقدم ومعناه: قدر على خلقهن وقيل: المعنى أعبادة ما تعبدون من أوثانكم خير أم عبادة من خلق السموات والأرض؟ فهو مردود على ما قبله من المعنى وفيه معنى التوبيخ لهم والتنبيه على قدرة الله ﷻ وعجز آلهتهم ﴿ فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ الحديقة البستان الذي عليه حائط والبهجة المنظر الحسن. قال الفراء: الحديقة البستان المحظر عليه حائط وإن لم يكن عليه حائط فهو البستان وليس بحديقة وقال قتادة وعكرمة: الحدائق النخل ذات بهجة والبهجة الزينة والحسن يبهج به من رآه ﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ﴾ (ما) للنفي ومعناه الحظر والمنع من فعل هذا أي: ما كان للبشر ولا يتهيأ لهم ولا يقع تحت قدرتهم أن ينبتوا شجرها؛ إذ هم عجزة عن مثلها لأن ذلك إخراج الشيء من العدم إلى الوجود.

Mostafa Adawy.com

ثم قال على جهة التوبيخ: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أي: هل معبود مع الله يعينه على ذلك؟ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ بالله غيره وقيل: ﴿يَعْدِلُونَ﴾ عن الحق والقصد أي: يكفرون وقيل: (إله) مرفوع بـ(مع) تقديره: أمع الله ويلكم إله والوقف على (مع الله) حسن.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾.

ج: المعنى -والله أعلم-: آلهتكم خيرٌ وعبادتها خيرٌ أم الله ﷻ وعبادته وحده لا شريك له ذلكم الله الذي جعل لكم الأرض مستقرةً بكم لا تميد بكم بل ثابتة كي تسيروا عليها وتقضوا عليها حوائجكم، وجعل خلالها أنهارًا وشقها فيها وجعلها جارية بما ينفع العباد، وكذا جعل في الأرض جبالًا رواسي هي سبب في استقرارها وثباتها وكذا جعل بين البحر المالح والماء العذب حاجزًا يحجز هذا عن ذاك حتى لا يختلط به ويفسد على الناس معايشهم، أمعبود مع الله ﷻ يفعل ذلك؟! كلا فلا معبود مع الله يفعل ذلك، ولكن أكثرهم جهلة لا يعلمون عظمة الله ولا يعلمون قدره، ولا يقدرونه حق قدره ومن ثمَّ فلا يخلصون العبادة له وحده لا شريك له لجهلهم قدره ﷻ.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أعبادة ما تشركون أيها الناس بربكم خير وهو لا يضر ولا ينفع، أم الذي جعل الأرض لكم قرارًا تستقرون عليها لا تميد بكم ﴿وَجَعَلَ﴾ لكم ﴿خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ يقول: بينها أنهارًا ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ﴾ وهي ثوابت الجبال،

MOSTAFABDW.COM

﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ بين العذب والملح، أن يفسد أحدهما صاحبه ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ سواه فعل هذه الأشياء فأشركتموه في عبادتكم إياه؟

وقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر عظمة الله، وما عليهم من الضر في إشراكهم في عبادة الله غيره، وما لهم من النفع في إفرادهم الله بالألوهة، وإخلاصهم له العبادة، وبراءتهم من كل معبود سواه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ أي: قارة ساكنة ثابتة، لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة، بل جعلها من فضله ورحمته مهادًا بساطًا ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [غافر: ٦٤].

﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ أي: جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة تشقها في خلالها، وصرفها فيها ما بين أنهار كبار وصغار وبين ذلك، وسيرها شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا بحسب مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم؛ حيث ذرأهم من أرجاء الأرض، سَيَّرَ لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون إليه، ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ أي: جبالًا شامخة ترسي الأرض وتثبتها؛ لئلا تميد بكم ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ أي: جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزًا، أي: مانعًا يمنعها من الاختلاط؛ لئلا يفسد هذا بهذا وهذا بهذا، فإن الحكمة الإلهية تقتضي بقاء كل منهما على صفته المقصودة منه، فإن البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس. والمقصود منها: أن تكون عذبة زلالًا

تسقى الحيوان والنبات والثمار منها. والبحار المالحة هي المحيطة بالأرجاء والأقطار من كل جانب، والمقصود منها: أن يكون ماؤها ملحًا أجاجًا؛ لئلا يفسد الهواء بريحها، كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٥٣]؛ ولهذا قال: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ أي: فعل هذا؟ أو يعبد على القول الأول والآخر؟ وكلاهما متلازم صحيح، ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: في عبادتهم غيره.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ أي: مستقرًّا ﴿ وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا ﴾ أي: وسطها مثل: ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴾ [الكهف: ٣٣] ﴿ وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ ﴾ يعني: جبالًا ثوابت تمسكها وتمنعها من الحركة ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾ مانعًا من قدرته لئلا يختلط الأُجاج بالعذاب. وقال ابن عباس: سلطانًا من قدرته فلا هذا يُغيِّر ذاك ولا ذاك يغير هذا والحجز: المنع ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ أي: إذا ثبت أنه لا يقدر على هذا غيره فلم يعبدون ما لا يضر ولا ينفع؟!! ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني كأنهم يجهلون الله فلا يعلمون ما يجب له من الوحدانية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: أآلهتكم التي جعلتموها ندًّا لله، وعبادتها خير أم الله ﷻ وعبادته وحده لا شريك له أم الله الذي يجيب من ألجأته الضرورة والحاجة إليه، فالمضطر هو الذي انقطع وعجز عن كل الأسباب ولم يعد له في

Mostafabdw.com

الدنيا بابٌ يلتمسه فكل الأبواب أغلقت في وجهه، فاتجه حينئذٍ إلى الله ﷻ يسأله ويرجوه أن يمنحه ويعطيه ويكشف عنه الضرَّ، آلله الذي يجيب المضطر ويكشف الضر، ويصرف السوء والمكروه، ويجعل الخلق خلفاء على هذه الأرض يخلف بعضهم بعضًا عليها، أمعبود معه؟؟ كلا فلا إله إلا الله ولا ربَّ سواه ولا معبود غيره، ولكن قلَّ اتعاظكم، وقلَّ من يتعظ منكم، وقلَّ من ينتفع بالذكرى منكم.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أم ما تُشركون بالله خير، أم الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء النازل به عنه؟

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: ويستخلف بعد أمرائكم في الأرض منكم خلفاء أحياء يخلفونهم. وقوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يقول: أإله مع الله سواه يفعل هذه الأشياء بكم، وينعم عليكم هذه النعم؟ وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: تَذَكُّرًا قليلًا من عظمة الله وأياديه عندكم تذكرون وتعتبرون حجج الله عليكم يسيرًا، فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ينبه تعالى أنه هو المدعُو عند الشدائد، المرجُو عند النوازل، كما قال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]. وهكذا قال هاهنا: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ أي: مَنْ هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ أي: يُخْلِفُ قَرنًا لقرن قبلهم وخَلَفًا لسلف، كما قال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، أي: قومًا يخلف بعضهم بعضًا كما قدمنا تقريره. وهكذا هذه الآية: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ أي: أمة بعد أمة، وجيلًا بعد جيل، وقومًا بعد قوم. ولو شاء لأوجدهم كلهم في وقت واحد، ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض، بل لو شاء لخلقهم كلهم أجمعين، كما خلق آدم من تراب. ولو شاء أن يجعلهم بعضهم من ذرية بعض ولكن لا يميت أحدًا حتى تكون وفاة الجميع في وقت واحد، فكانت تضيق عليهم الأرض وتضيق عليهم معايشهم وأكسابهم، ويتضرر بعضهم ببعض. ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة، ثم يُكَثِّرهم غاية الكثرة، ويذرأهم في الأرض، ويجعلهم قرونًا بعد قرون، وأممًا بعد أمم؛ حتى ينقضي الأجل وتفرغ البَشرية، كما قدر ذلك تبارك وتعالى، وكما أحصاهم وعَدَّهم عَدًّا، ثم يقيم القيامة، ويُوفي كل عامل عمله إذا بلغ الكتاب أجله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ أي: يقدر على ذلك، أو أإله مع الله يُعْبد، وقد علم أن الله هو المنفرد بفعل ذلك ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: ما أقل تذكرهم فيما يرشدهم إلى الحق، ويهديهم إلى الصراط المستقيم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ضمن الله تعالى إجابة المضطر إذا دعاه وأخبر بذلك عن نفسه والسبب في ذلك أن الضرورة إليه باللجاء ينشأ عن الإخلاص وقطع القلب عما سواه وللإخلاص عنده سبحانه موقع وذمة وُجِدَ من مؤمن أو كافر طائع أو فاجر كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [يونس: ٢٢] وقوله: ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥] فأجابهم عند ضرورتهم ووقوع إخلاصهم مع علمه أنهم يعودون إلى شركهم وكفرهم وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥] فيجيب المضطر لموضع اضطراره وإخلاصه.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالمظلوم مضطر ويقرب منه المسافر لأنه منقطع عن الأهل والوطن منفرد عن الصديق والحميم لا يسكن قلبه إلى مسعد ولا مُعين لغربته فتصدق ضرورته إلى المولى فيخلص إليه في اللجاء وهو المجيب للمضطر إذا دعاه وكذلك دعوة الوالد على ولده لا تصدر منه مع ما يعلم من حنته عليه وشفقته إلا عند تكامل عجزه عنه وصدق ضرورته وإياسه عن برِّ ولده مع وجود أذيته فيسرع الحق إلى إجابته.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٣ ﴾.

MOSTAFALABY.COM

ج: المعنى – والله أعلم –: آلهتكم التي تعبدون من دون الله خيرٌ أم الله ﷻ الذي يهديكم إذا ضللتم في ظلمات البر والبحر، بما أودعه في الكون من آياته ودلالاته كالنجوم التي تهتدون بها كما قال: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النمل: ١٦] وبما رزقكم من الأفهام التي تهتدون بها.

وكذا الذي أرسل الرياح قبيل نزول المطر تبشركم بنزوله بعد أن يئستم من رحمة الله، أمعبود يفعل ذلك غير الله؟ كلا، بل الله يفعل ذلك وحده لا شريك له – تعالى الله عن شرككم علوًّا كبيرًا.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أم ما تشركون بالله خير، أم الذي يهديكم في ظلمات البر والبحر إذا ضللتم فيهما الطريق، فأظلمت عليكم السبل فيهما؟

قوله: ﴿وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ﴾ يقول: والذي يرسل الرياح نُشرًا لموتان الأرض بين يدي رحمته، يعني: قدام الغيث الذي يحيي موات الأرض. وقوله: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أإله مع الله سوى الله يفعل بكم شيئًا من ذلك فتعبدوه من دونه، أو تشركوه في عبادتكم إياه ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ يقول: لله العلو والرفعة عن شرككم الذي تشركون به، وعبادتكم معه ما تعبدون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول: ﴿أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ أي: بما خلق من الدلائل السماوية والأرضية، كما قال: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ﴾ الآية. [الأنعام: ٩٧]

Mostafa.ahlyz.com

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: بين يدي السحاب الذي فيه مطر، يغيث به عباده المجدبين الأزلين القنطين، ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ أي: يرشدكم الطريق ﴿فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ إذا سافرتم إلى البلاد التي تتوجهون إليها بالليل والنهار وقيل: وجعل مفاوز البر التي لا أعلام لها ولجج البحار كأنها ظلمات لأنه ليس لها علم يهتدى به ومن يرسل الرياح نشرًا بين يدي رحمته أي: قدام المطر باتفاق أهل التأويل ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ يفعل ذلك ويعينه عليه ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من دونه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾

ج: المعنى – والله أعلم-: آلهتكم التي عبدتموها من دون الله خير؟ أم الله ﷻ الذي خلق الخَلْقِ لأول مرة، وقد اعترفتم بذلك وأقررتم به، أالله الذي خلق الخَلْق لأول مرة، ثم يميتهم ثم يحييهم، والذي يرزقكم من السموات من غيث والأرض من نباتها وكنوزها أمعبود يفعل ذلك مع الله؟! كلا فلا ربَّ غيره ولا معبود سواه، فإن زعمتم أن معه إلهًا فهاتوا دليلكم وبرهانكم على هذا إن كنتم صادقين في دعواكم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أم ما تشركون أيها القوم خير، أم الذي يبدأ الخلق ثم

يعيده، فينشئه من غير أصل، ويبتدعه ثم يفنيه إذا شاء، ثم يعيده إذا أراد كهيئته قبل أن يفنيه، والذي يرزقكم من السماء والأرض فينزل من هذه الغيث، وينبت من هذه النبات لأقواتكم، وأقوات أنعامكم ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ سوى الله يفعل ذلك؟ وإن زعموا أن إلهًا غير الله يفعل ذلك أو شيئًا منه فـ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ أي: حجتكم على أن شيئا سوى الله يفعل ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دعواكم. ومن التي في «أمَّن» و«ما» مبتدأ في قوله: أما يشركون، والآيات بعدها إلى قوله: ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

وقال ابن كثير رحمه الله:

أي: هو الذي بقدرته وسلطانه يبدأ الخلق، ثم يعيده، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٢، ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: بما ينزل من مطر السماء، وينبت من بركات الأرض، كما قال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ [الطارق: ١١، ١٢]، وقال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد: ٤]، فهو تبارك وتعالى ينزل من السماء ماء مباركًا فيسكنه في الأرض، ثم يخرج به أنواع الزروع والثمار والأزاهير، وغير ذلك من ألوان شتى، ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤]؛ ولهذا قال: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أي: فعل هذا؟ وعلى القول الآخر: يعبد؟ ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ على صحة ما تدعونه من عبادة آلهة أخرى، ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في ذلك، وقد علم أنه لا حجة لهم ولا برهان، كما قال: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ كانوا يقرون أنه الخالق الرازق فألزمهم الإعادة أي: إذا قدر على الابتداء فمن ضرورته القدرة على الإعادة وهو أهون عليه ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يخلق ويرزق ويبدئ ويعيد ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ أي: حجتكم أن لي شريكًا أو حجتكم في أنه صنع أحد شيئا من هذه الأشياء غير الله ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: قل يا رسول الله للسائلين عن الساعة – عن القيامة – متى هي؟ قل لهم: لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الذي استأثر الله بعلمه إلا الله، ومن ذلك الغيب وقت قيام الساعة، فلا يعلم أحدٌ متى تقوم الساعة إلا الله وما يشعر هؤلاء متى يبعثون من قبورهم، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُل﴾ يا محمد لسائليك من المشركين عن الساعة متى هي قائمة؟ ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ﴾ الذي قد استأثر الله بعلمه، وحجب عنه خلقه غيره والساعة من ذلك ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: وما يدري من في السموات والأرض من خلقه متى هم مبعوثون من قبورهم لقيام الساعة.

وأورد بسندٍ صحيح عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: من زعم أنه يخبر الناس بما يكون في غد، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

MostafaAbdo.com

ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (١).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا رسوله ﷺ أن يقول معلمًا لجميع الخلق: أنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب. وقوله: ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ استثناء منقطع، أي: لا يعلم أحد ذلك إلا الله ﷻ فإنه المنفرد بذلك وحده، لا شريك له، كما قال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ ﴾ الآية [الأنعام: ٥٩]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤]، والآيات في هذا كثيرة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ أي: وما يشعر الخلائق الساكنون في السموات والأرض بوقت الساعة، كما قال: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، أي: ثقل علمها على أهل السموات والأرض.

❁ ❁ ❁

س: في قوله تعالى: ﴿ٱدَّٰرَكَ ﴾ قراءتان، وضحهما.

ج: القراءة الأولى: (أدرك).

والثانية: (ادَّارك).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء أهل المدينة سوى أبي جعفر وعامة قراء أهل الكوفة: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ ﴾ بكسر اللام من «بل» وتشديد الدال من «ادراك»، بمعنى: بل تدارك علمهم

(١) مسلم (١١٧).

MOSTAFA.ADAWY.COM

أي: تتابع علمهم بالآخرة هل هي كائنة أم لا، ثم أُدغمت التاء في الدال كما قيل: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨] وقد بيَّنا ذلك فيما مضى بما فيه الكفاية من إعادته.

وقرأته عامة قراء أهل مكة: «بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ» بسكون الدال وفتح الألف، بمعنى: هل أدرك علمهم علم الآخرة؟

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

ج: أولًا:

تأويل الآية على قراءة من قرأ (ادارك) معناها بل تم علمهم بالساعة يوم القيامة، أما في الدنيا فقد كانوا متشككين في وقوعها، وفي عماية عنها وكانت قلوبهم في عمًى عنها.

أو بصياغة أُخرى: إن هؤلاء المنكرين للقيامة كَمُلَ علمهم بوقوعها يوم القيامة؛ حيث لا ينفعهم حينئذٍ علم، وقد كانوا في دنياهم في شك منها وارتياب، وكانت قلوبهم في عمًى عن وقوعها، وهم وإن كان علمهم تكامل في الآخرة إلا أن إيمانهم آنذاك لم ينفعهم.

هذا هو الوجه الأول: على قراءة من قرأ (ادارك).

والوجه الثاني: بل تتابع علمهم اليوم في الآخرة، فهذا يقول فيها قولًا وآخر يقول فيها قولًا، وهكذا تتابعت أقوالهم في شأنها هل هي كائنة أم لن تكون؟! وكلٌّ أدلى برأيه في ذلك، بل هم إجمالًا في شكٍّ من وقوعها وفي عماية عنها وعن العمل لها.

Mostafadawy.com

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أصل: «آدَّارَكَ» تدارك؛ أدغمت الدال في التاء وجيء بألف الوصل؛ وفي معناه قولان: أحدهما: أن المعنى بل تكامل علمهم في الآخرة؛ لأنهم رأوا كل ما وُعِدوا به معاينة فتكامل علمهم به. والقول الآخر أن المعنى: بل تتابع علمهم اليوم في الآخرة؛ فقالوا تكون وقالوا لا تكون.

ثانيًا:

أما القراءة الثانية (**بل أدرك علمهم في الآخرة**) فمعناها قريب من المعنى الأول، وحاصله بل أدرك علمهم في الآخرة حقيقتها حين عاينوها وقد كانوا في الدنيا في شكٍّ منها، بل وقد كانت قلوبهم في عمًى عن وقوعها. ولكن لا ينفعهم علمهم بها في الآخرة.

والوجه الثاني في معناها على قراءة (أدرك) بمعنى تساوى علمهم في شأن الآخرة ألا وهو عدم المعرفة بوقتها.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقرأ آخرون: «بل أدرك علمهم»، أي: تساوى علمهم في ذلك، كما في الصحيح لمسلم: أن رسول الله ﷺ قال لجبريل - وقد سأله عن وقت الساعة -: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل؟**» أي: تساوى في العجز عن دَرْك ذلك علم المسؤول والسائل.

وقوله: ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ﴾ عائد على الجنس، والمراد: الكافرون، كما قال تعالى: ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف: ٤٨] أي: الكافرون منكم. وهكذا قال هاهنا: ﴿ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ أي: في

عمَاية وجهل كبير في أمرها وشأنها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

القراءة الثانية فيها أيضًا قولان: أحدهما: أن معناه كَمُلَ في الآخرة وهو مثل الأول. قال مجاهد: معناه يدرك علمهم في الآخرة ويعلمونها إذا عاينوها حين لا ينفعهم علمهم لأنهم كانوا في الدنيا مكذبين والقول الآخر: أنه على معنى الإنكار وهو مذهب أبي إسحاق واستدل على صحة هذا القول بأن بعده ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ أي: لم يدرك علمهم علم الآخرة وقيل: بل ضَلَّ وغاب علمهم في الآخرة فليس لهم فيها علم.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب على قراءة من قرأ «بَلْ أَدْرَكَ» القول الذي ذكرناه عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، وهو أن معناه: إذا قرئ كذلك ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ بل أدرك علمهم نفس وقت ذلك في الآخرة حين يبعثون، فلا ينفعهم علمهم به حينئذٍ، فأما في الدنيا فإنهم منها في شك، بل هم منها عمون.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما على قراءة من قرأه ﴿بَلِ ادَّارَكَ﴾ بكسر اللام وتشديد الدال، فالقول الذي ذكرنا عن مجاهد، وهو أن يكون معنى بل: أم، والعرب تضع أم موضع بل، وموضع بل: أم، إذا كان في أول الكلام استفهام كما قال الشاعر:

فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَسَلْمَى تَغَوَّلَتْ ... أَمِ النَّوْمُ أَمْ كُلٌّ إِلَيَّ حَبِيبُ

يعني بذلك بل كل إلي حبيب، فيكون تأويل الكلام: وما يشعرون أيان يبعثون، بل تدارك علمهم في الآخرة يعني: تتابع علمهم في الآخرة أي: بعلم

MOSTAFAADWY.COM

الآخرة أي: لم يتتابع بذلك ولم يعلموه، بل غاب علمهم عنه، وضل فلم يبلغوه ولم يدركوه.

وقوله: ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ يقول: بل هؤلاء المشركون الذين يسألونك عن الساعة في شكٍّ من قيامها، لا يوقنون بها ولا يصدقون بأنهم مبعوثون من بعد الموت ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ يقول: بل هم من العلم بقيامها عمون.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ (أضواء البيان):

أظهر أقوال أهل العلم عندي في هذه الآية الكريمة أن المعنى: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾، أي: تكامل علمهم في الآخرة حين يعاينونها، أي: يعلمون في الآخرة علمًا كاملاً، ما كانوا يجهلونه في الدنيا، وقوله: ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾، أي: في دار الدنيا، فهذا الذي كانوا يشكون فيه في دار الدنيا، ويعمون عنه مما جاءتهم به الرسل، يعلمونه في الآخرة علمًا كاملاً لا يخالجه شك، عند معاينتهم لما كانوا ينكرونه منه البعث والجزاء.

وإنما اخترنا هذا القول دون غيره من أقوال المفسرين في الآية؛ لأن القرآن دلَّ عليه دلالة واضحة في آيات متعددة؛ كقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، فقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾، بمعنى: ما أسمعهم وما أبصرهم للحق الذي كانوا ينكرونه يوم يأتوننا، أي: يوم القيامة، وهذا يوضح معنى قوله: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾، أي: تكامل علمهم فيها لمبالغتهم في سمع الحق وإبصاره في ذلك الوقت، وقوله: ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، يوضح معنى قوله: ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾، لأن ضلالهم المبين اليوم، أي: في دار الدنيا، هو شكهم في الآخرة، وعماهم عنها؛

وكقوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]، أي: علمك اليوم بما كنت تنكره في الدنيا مما جاءتك به الرسل حديد، أي: قوي كامل.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾)

[النمل: ٦٧-٨١]

mostafalawy.com

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿لَمُخْرَجُونَ - أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ - عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ - ٱلْوَعْدُ - رَدِفَ لَكُم - تَسْتَعْجِلُونَ - تُكِنُّ - غَآئِبَةٍ - كِتَٰبٍ مُّبِينٍ - يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ - بِحُكْمِهِۦ - فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ - ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ - ٱلصُّمَّ - وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ - بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ - إِن تُسْمِعُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَمُخْرَجُونَ﴾	لمخرجون أحياءً من قبورنا يوم القيامة – لمبعوثون
﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾	ما سطره الأولون الذين سبقونا من الخرافات والحكايات والقصص
﴿عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾	نهاية أمر أهل الإجرام
﴿ٱلْوَعْدُ﴾	الوعد بالعذاب – ما تعدنا به من العذاب
﴿رَدِفَ لَكُم﴾	دنا واقترب
﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾	تطلبون وقوعه عاجلًا
﴿تُكِنُّ﴾	تُخفي
﴿غَآئِبَةٍ﴾	أي أمرٍ عائب
﴿كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾	المراد اللوح المحفوظ
﴿يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾	يخبرهم – يخبر بني إسرائيل بحقيقة الأمور التي يختلفون فيها
﴿بِحُكْمِهِۦ﴾	بعدله وقضائه

MOSTAFALAWY.COM

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾	فاعتمد على الله
﴿ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾	الحق الواضح الظاهر – الحق المظهر لمن تأمله أنه الحق الذي لا مرية فيه
﴿ٱلصُّمَّ﴾	الذين لا يسمعون
﴿وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾	انصرفوا معرضين
﴿بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾	بموفق عُمي البصيرة وبمنقذهم من ضلالتهم
﴿إِن تُسْمِعُ﴾	ما تسمع

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: وقال الذين جحدوا وحدانية الله ﷻ وعبدوا معه غيره، قالوا منكرين للبعث والثواب والعقاب، قالوا: إئذا كنا ترابًا بعد موتنا، وقد كان آباؤنا من قبل ترابًا كذلك أسنعود أحياءً ويعود آباؤنا أحياءً بعد الممات وبعد صيرورتنا إلى تراب؟ لقد وُعدنا هذا، لقد وعدتنا يا محمد بهذا من قبل مرات ومرات، وكذا وُعد آباؤنا بهذا من قبل مرات ومرات، ولم يتحقق شيءٌ من الذي وعدنا به نحن وآباؤنا فما هذا الذي ذكرتموه لنا إلا أساطير سطَّرها الأولون وخرافات كتبوها في كتبهم ليس لها في الواقع حقيقة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال الذين كفروا بالله: أئنا لمخرجون من قبورنا أحياء،

Mostafawy.com

كهيئتنا من بعد مماتنا بعد أن كنا فيها ترابًا قد بلينا؟ ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾ يقول: لقد وَعَدنا هذا من قبل محمد واعدون، وعدوا ذلك آباءنا، فلم نر لذلك حقيقة، ولم نتبين له صحة ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ يقول: قالوا: ما هذا الوعد إلا ما سطَّر الأولون من الأكاذيب في كتبهم، فأثبتوه فيها وتحدثوا به من غير أن يكون له صحة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن منكري البعث من المشركين: أنهم استبعدوا إعادة الأجساد بعد صيرورتها عظامًا ورفاتًا وترابًا ثم قال: ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾ أي: ما زلنا نسمع بهذا نحن وآباؤنا، ولا نرى له حقيقة ولا وقوعًا.

وقولهم: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾: يعنون: ما هذا الوعد بإعادة الأبدان، ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي: أخذه قوم عَمَّن قبلهم، مَنْ قبلهم يتلقاه بعضهم عن بعض، وليس له حقيقة.

قال الله تعالى مجيبًا لهم عما ظنوه من الكفر وعدم المعاد:

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: قل يا رسول الله لهؤلاء المنكرين للبعث الجاحدين وحدانية الله، سيروا في الأرض أيها الناس فانظروا إلى مدائن قوم لوط، وإلى ديار عادٍ وثمود، وإلى القرى التي أبادها الله وأفناها ودمرها، تلك القرى التي قالت بنحو قولكم وكذَّبت كتكذيبكم، انظروا كيف كان عقاب الله

MostafaAbdo.com

لهم واعتبروا بذلك، فمنهم من خسف الله به الأرض ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أغرقه الله ومنهم من أرسلنا عليهم الريح العقيم، ومنهم من أرسل عليه عذاب يوم الظُّلَّة، إلى غير ذلك من صور العذاب، فانظروا إليهم بعين الاعتبار والاتعاظ فلا تحزن يا رسول الله على قومك المكذبين لك فالله أعلم بهم، وهو ناصرك فلا تكن في حرج ولا في ضيق مما يخوفونك به، ومما يمكرون بك فيه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المكذبين ما جئتهم به من الأنباء من عند ربك: ﴿سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ﴾ إلى ديار من كان قبلكم من المكذبين رسل الله ومساكنهم كيف هي، ألم يخربها الله، ويهلك أهلها بتكذيبهم رسلهم، وردهم عليهم نصائحهم فخلت منهم الديار وتعفَّت منهم الرسوم والآثار، فإن ذلك كان عاقبة إجرامهم، وذلك سنة ربكم في كل من سلك سبيلهم في تكذيب رسل ربهم، والله فاعل ذلك بكم إن أنتم لم تبادروا الإنابة من كفركم وتكذيبكم رسول ربكم.

وقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولا تحزن على إدبار هؤلاء المشركين عنك وتكذيبهم لك ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ يقول: ولا يضيق صدرك من مكرهم بك، فإن الله ناصرك عليهم، ومهلكهم قتلًا بالسيف.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء الكفار ﴿سِيرُواْ﴾ في بلاد الشام والحجاز واليمن ﴿فَٱنظُرُواْ﴾ أي: بقلوبكم وبصائركم ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ المكذبين لرسلهم. ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على كفار مكة إن لم يؤمنوا ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ﴾ في حرج ﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة وقد تقدم ذكرهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء: ﴿سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: المكذِّبين بالرسل وما جاءوهم به من أمر المعاد وغيره، كيف حلت بهم نقَمُ الله وعذابه ونكاله، ونجَّى الله من بينهم رسله الكرام وَمَنِ اتبعهم من المؤمنين، فدل ذلك على صدق ما جاءت به الرسل وصحته.

ثم قال تعالى مسليًا لنبيه - صلوات الله وسلامه عليه-: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المكذبين بما جئت به، ولا تأسف عليهم وتذهب نفسك عليهم حسرات، ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي: في كيدك ورَدِّ ما جئت به، فإن الله مؤيدك وناصرك، ومظهرٌ دينك على مَنْ خالفه وعانده في المشارق والمغارب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ويقولون: (أي: ويقول أهل الشرك والتكذيب بالبعث) متى هذا الوعد بقيام الساعة وبالثواب وبالعقاب إن كنتم صادقين يا أهل الإسلام في دعواكم إن الساعة قائمة؟! فقل لهؤلاء المنكرين

Mostafa Adly.com

المستعجلين للعذاب: عسى أن يكون قد اقترب العذاب الذي تستعجلونه، فقوله: ﴿رَدِفَ﴾ بمعنى اقترب ودنا. والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويقول مشركو قومك يا محمد، المكذبوك فيما أتيتهم به من عند ربك ﴿مَتَىٰ﴾ يكون ﴿هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ الذي تعدُناه من العذاب، الذي هو بنا فيما تقول حال ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تعدوننا به ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ يقول جل جلاله: قل لهم يا محمد: عسى أن يكون اقترب لكم ودنا ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ من عذاب الله.

وقال الطبري أيضًا:

واختلف أهل العربية في وجه دخول اللام في قوله: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ وكلام العرب المعروف: ردفه أمرٌ، وأردفه، كما يقال: تبعه وأتبعه، فقال بعض نحويي البصرة: أدخل اللام في ذلك فأضاف بها الفعل كما يقال: ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]، و﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

وقال بعض نحويي الكوفة: أدخل اللام في ذلك للمعنى؛ لأن معناه: دنا لهم، كما قال الشاعر:

فَقُلْتُ لَهَا الحَاجَاتُ يَطْرَحْنَ بالفَتى

فأدخل الباء في يطرحن، وإنما يقال طرحته؛ لأن معنى الطرح: الرمي، فأدخل الباء للمعنى؛ إذ كان معنى ذلك يرمين بالفتى، وهذا القول الثاني هو أولاهما عندي بالصواب، وقد مضى البيان عن نظائره في غير موضع من الكتاب، بما أغنى عن تكراره في هذا الموضع.

MostafaAdawy.com

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن المشركين، في سؤالهم عن يوم القيامة واستبعادهم وقوع ذلك: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ قال الله مجيبًا لهم: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾. [قال ابن عباس أن يكون قرب -أو: أن يقرب -لكم بعض الذي تستعجلون]. وهكذا قال مجاهد، والضحاك، وعطاء الخراساني، وقتادة، والسدي.

وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١]، وقال تعالى ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٤].

وإنما دخلت «اللام» في قوله: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾؛ لأنه ضُمن معنى «عَجِل لكم» كما قال مجاهد في رواية عنه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾: عجل لكم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ من العذاب فكان ذلك يوم بدر. وقيل: عذاب القبر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: وإن ربك لذو نعم على الناس؛ إذ يؤخر عنهم العذاب والعقاب كي يتوبوا، ونعمه عليهم لا تحصى ويرزقهم مع عصيانهم له ولكن أكثر الناس لا يقدمون لذلك شكرًا، وإن ربك ليعلم ما تخفيه

MOSTAFALAW.COM

صدورهم، وما يظهرونه من الأقوال والأعمال وكل شيء ربي به عليم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بتركه معاجلتهم بالعقوبة على معصيتهم إياه، وكفرهم به، وذو إحسان إليهم في ذلك وفي غيره من نعمه عندهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ لا يشكرونه على ذلك من إحسانه وفضله عليهم، فيخلصوا له العبادة، ولكنهم يشركون معه في العبادة ما يضرهم ولا ينفعهم ومن لا فضل له عندهم ولا إحسان.

وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يقول: وإن ربك ليعلم ضمائر صدور خلقه، ومكنون أنفسهم، وخفي أسرارهم، وعلانية أمورهم الظاهرة، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو محصيها عليهم حتى يجازي جميعهم بالإحسان إحسانًا وبالإساءة جزاءها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: في إسباغه نعمه عليهم مع ظلمهم لأنفسهم، وهم مع ذلك لا يشكرونه على ذلك إلا القليل منهم، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي: يعلم السرائر والضمائر، كما يعلم الظواهر، ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ [الرعد: ١٠]، ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [هود: ٥].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: وما من أمرٍ غائب عن الناس عن علمهم وعن

أعينهم وعن حواسهم، أي أمر كان في السماء والأرض، إلا وعلمه عند الله ﷻ في كتاب مبين لمن نظر فيه أن الله يعلم ذلك تمام العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَامِنْ﴾ مكتوم سر وخفي أمر يغيب عن أبصار الناظرين ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ وهو أم الكتاب الذي أثبت ربُّنا فيه كلّ ما هو كائن من لدن ابتدأ خلق خلقه إلى يوم القيامة. ويعني بقوله: ﴿مُّبِينٍ﴾ أنه يبين لمن نظر إليه، وقرأ ما فيه مما أثبت فيه ربنا جل ثناؤه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر تعالى بأنه عالم غيب السموات والأرض، وأنه عالم الغيب والشهادة - وهو ما غاب عن العباد وما شاهدوه - فقال: ﴿وَمَامِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: يعني: وما من شيء، ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ وهذا كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَامِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ قال الحسن: الغائبة هنا القيامة وقيل: ما غاب عنهم من عذاب السماء والأرض حكاه النقاش. وقال ابن شجرة: الغائبة هنا جميع ما أخفى الله تعالى عن خلقه وغيبه عنهم وهذا عامٌّ وإنما دخلت الهاء في ﴿غَآئِبَةٍ﴾ إشارة إلى الجمع أي: ما من خصلة غائبة عن الخَلْق إلا والله عالم بها قد أثبتها في أمِّ الكتاب عنده فكيف يخفى عليه ما يسرُّ هؤلاء وما يعلنونه وقيل: أي كل شيء هو مثبت في أُمِّ

MOSTAFAALAWY.COM

الكتاب يخرجه للأجل المؤجل له فالذي يستعجلونه من العذاب له أجل مضروب لا يتأخر عنه ولا يتقدم عليه والكتاب اللوح المحفوظ أثبت الله فيه ما أراد ليعلم بذلك من يشاء من ملائكته.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

ج: المعنى -والله أعلم-: إن هذا القرآن الذي أنزلناه عليك يا رسول الله يقص القصص الحق في أكثر المسائل التي يختلف فيها الإسرائيليون، وذلك أنهم اختلفوا فيما بينهم في مسائل كثيرة فنزل كتاب الله ﷻ ببيان وجوه الحق والصواب فيها كاختلافهم الشديد المتباين في شأن عيسى عليه السلام؛ إذ اتهمته اليهود بأشد الاتهامات وكذا اتهموا أمه بأشد الاتهامات، وهما بريئان من تلك التهم، وغالت فيه النصارى أشد الغلو فأنزلوه منزلة الإله ونسبوه إلى الله يعنون بذلك أنه ابنٌ لله ﷻ وتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

إلى غير ذلك من صور الاختلافات التي جرت بين الإسرائيليين فنزل القرآن بالفصل فيها.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن الذي أنزلته إليك يا محمد يقص على بني إسرائيل الحق، في أكثر الأشياء التي اختلفوا فيها، وذلك كالذي اختلفوا فيه من أمر عيسى، فقالت اليهود فيه ما قالت، وقالت النصارى فيه ما قالت، وتبرأ

لاختلافهم فيه هؤلاء من هؤلاء، وهؤلاء من هؤلاء، وغير ذلك من الأمور التي اختلفوا فيها، فقال جل ثناؤه لهم: إن هذا القرآن يقص عليكم الحق فيما اختلفتم فيه فاتبعوه، وأقروا لما فيه، فإنه يقصُّ عليكم بالحق، ويهديكم إلى سبيل الرشاد.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن كتابه العزيز، وما اشتمل عليه من الهدى والبينات والفرقان: إنه يقصُّ على بني إسرائيل -وهم حملة التوراة والإنجيل - ﴿أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، كاختلافهم في عيسى وتباينهم فيه، فاليهود افتروا، والنصارى غَلَوا، فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل: أنه عبد من عباد الله وأنبيائه ورسله الكرام - عليه الصلاة والسلام- كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ وذلك أنهم اختلفوا في كثير من الأشياء حتى لعن بعضهم بعضًا فنزلت والمعنى: إن هذا القرآن يبين لهم ما اختلفوا فيه لو أخذوا به وذلك ما حرفوه من التوراة والإنجيل وما سقط من كتبهم من الأحكام.

❁ ❁ ❁

س: لماذا قيل: ﴿أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ولم يقل كل الذي فيه يختلفون؟

Mostafa1000.com

ج: ذلك – والله أعلم – سترًا عليهم ولعدم فضيحتهم، فقد اختلفوا في أمور لو ظهرت الحقائق فيها لكان في ذلك فضيحة عظيمة لهم فهنالك أمور فعلوها فمسخوا قردة وخنازير، وأمور أُخر لم تُذكر سترًا عليهم كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ ﴾. أي ويستر على كثير لا يخبركم به.

هذا، وثَمَّ توجيه آخر لقوله: ﴿أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ حاصله أن هناك مسائل يختلفون فيها تنطعًا وجدالًا لا تستحق أن تُذكر فأهمل ذكرها والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٧٧﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: وإن هذا القرآن لدلالة على الحق لأهل الإيمان، يدلهم على الحق والخير وطريق الجنان، ويوفقون بسببه لسلوك هذا الطريق المستقيم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن لهُدًى، يقول: لبيان من الله، يبين به الحق فيما اختلف فيه خلقه من أمور دينهم ﴿وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يقول: ورحمة لمن صدق به وعمل بما فيه.

❁ ❁ ❁

س: لماذا خُصّت الهداية بالمؤمنين؟

ج: لأنهم هم المنتفعون به الذين قبلوا هذا القرآن واستفادوا منه واهتدوا

mostafa-sw.com

بهديه. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: إن ربك يفصل بينهم ويحكم بينهم بحكمه الذي لا يظلم فيه ولا يجور، فيجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته يوم القيامة ويظهر المحق من المبطل، وكذا قيل يقص بينهم في الدنيا فيظهر ما حرَّفوه، وهو ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب الذي لا يرد أمره ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ الذي لا يخفى عليه شيء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم﴾ يقول: إن ربك يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل ﴿بِحُكْمِهِۦ﴾ فيهم، فينتقم من المبطل منهم، ويجازي المحسن منهم المحق بجزائه، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ يقول: وربك العزيز في انتقامه من المبطل منهم ومن غيرهم، لا يقدر أحد على منعه من الانتقام منه إذا انتقم العليم بالمحق المحسن من هؤلاء المختلفين من بني إسرائيل فيما اختلفوا فيه، ومن غيرهم من المبطل الضال عن الهدى.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم﴾ أي: يوم القيامة، ﴿ بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ في انتقامه، ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بأفعال عباده وأقوالهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم- فاعتمد في شؤونك كلها على الله ﷻ وفوِّض

Nostrababy.com

أمورك إليه ولا تتشكك فيما أنت عليه فإنك على الحق الواضح الجلي، المظهر لمن تأمله أنك على الحق بلا ريب ولا امتراء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ففوِّض إلى الله يا محمد أمورك، وثق به فيها، فإنه كافيك. ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ لمن تأمَّله، وفكر ما فيه بعقل، وتدبره بفهم، أنه الحق، دون ما عليه اليهود والنصارى، المختلفون من بني إسرائيل، ودون ما عليه أهل الأوثان، المكذبوك فيما أتيتهم به من الحق، يقول: فلا يحزنك تكذيب من كذبك، وخلاف من خالفك، وامض لأمر ربك الذي بعثك به.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: في أمورك، وبَلِّغ رسالة ربك، ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ أي: أنت على الحق المبين وإن خالفك مَنْ خالفك، مِمَّنْ كتبت عليه الشقاوة وحَقَّت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل آية.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: فوض إليه أمرك واعتمد عليه فإنه ناصرك ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ أي: الظاهر وقيل: المظهر لمن تدبر وجه الصواب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: توكل على الله يا رسول الله وفوض أمرك إليه ﷻ فإنه ناصرك ومعينك ولا تحزن على تكذيب هؤلاء المشركين واليهود

لك فإنك على الحق المبين ولن يهتدي بما جئت به أهل الكفر الذين كُتِبَت عليهم الشقاوة فإنهم موتى القلوب فلن ينتفعوا بمواعظك وبما تلقينه عليهم وتذكرهم به، وفضلًا عن كونهم موتى القلوب فإنهم لا يُقبلون على هذا القرآن بل ينصرفون عنه فارِّين هاربين، فكيف تسمعهم وهم موتى وكيف تسمعهم وقد انصرفوا هاربين مدبرين مع موات قلوبهم كذلك، وكذا لن تستطيع هداية الأعمى الذي سلك طريق الضلال والبعد عن الحق إنما تسمع فقط من آمن بهذا القرآن وصدق أنه من عند الله ﷻ، وأقبل على هذا القرآن يستنير بنوره ويهتدي بهداه فهؤلاء هم المسلمون الذين تدينوا بدين الإسلام وعملوا بتعاليمه، هم كذلك المستسلمون الخاضعون لأمر الله ﷻ المنتهون عما نهاهم عنه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ يقول: إنك يا محمد لا تقدر أن تُفهم الحق من طبع الله على قلبه فأماته؛ لأن الله قد ختم عليه أن لا يفهمه ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ يقول: ولا تقدر أن تسمع ذلك من أصم الله عن سماعه سمعه ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ يقول: إذا هم أدبروا معرضين عنه، لا يسمعون له لغلبة رَيْن الكفر على قلوبهم، ولا يُصغون للحقّ، ولا يتدبرونه، ولا ينصتون لقائله، ولكنهم يعرضون عنه، وينكرون القول به، والاستماع له.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَمَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿بِهَٰدِى﴾ من أعماه الله عن الهدى والرشاد فجعل على بصره غشاوة أن يتبين سبيل الرشاد عن ضلالته التي هو فيها إلى طريق الرشاد وسبيل الرشاد. وقوله: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ يقول: ما تقدر أن

تُفهم الحق وتوعيه أحدًا إلا سمع من يصدق بآياتنا، يعني: بأدلته وحججه وآي تنزيله ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ فإن أولئك يسمعون منك ما تقول ويتدبرونه، ويفكرون فيه، ويعملون به، فهم الذين يسمعون.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ يعني: الكفار لتركهم التدبر فهم كالموتي لا حس لهم ولا عقل وقيل: هذا فيمن علم أنه لا يؤمن ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ يعني: الكفار الذين هم بمنزلة الصم عن قبول المواعظ فإذا دعوا إلى الخير أعرضوا وولوا كأنهم لا يسمعون نظيره: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة: ١٨] كما تقدم وقرأ ابن محيصن وحميد وابن كثير وابن أبي إسحاق وعباس عن أبي عمرو: (ولا يسمع) بفتح الياء والميم (الصم) رفعًا على الفاعل الباقون ﴿تُسْمِعُ﴾ مضارع أسمعت ﴿الصُّمَّ﴾ نصبًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ أي: لا تسمعهم شيئًا ينفعهم فكذلك هؤلاء على قلوبهم غشاوة وفي آذانهم وقر الكفر ولهذا قال: ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: إنما يستجيب لك مَنْ هو سميع بصير، السمع والبصر النافعُ في القلب والبصيرة الخاضع لله، ولما جاء عنه على ألسنة الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ (أضواء البيان):

ومن الآيات النازلة تسلية له ﷺ، قوله هنا: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾، أي: لا تسمع من أضله الله إسماع هدى وقبول، ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾، يعني:

Nostraalabia.com

ما تسمع إسماع هدى وقبول، إلا من هديناهم للإيمان بآياتنا ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾.

والآيات الدالَّة على هذا المعنى كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ الآية. [النحل: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الآية. [المائدة: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات. ولو كان معنى الآية وما شابهها: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، أي: الذين فارقت أرواحهم أبدانهم لما كان في ذلك تسلية له ﷺ، كما ترى.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADAWY.COM

قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [النمل: ٨٢-٩٣].

mostafaalaw.com

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ - لَا يُوقِنُونَ - نَحْشُرُ - فَوْجًا - يُوزَعُونَ - لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ - ٱلصُّورِ - دَٰخِرِينَ - جَامِدَةً - تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ - أَنْقَنَ - بِٱلْحَسَنَةِ - فَزِعَ - بِٱلسَّيِّئَةِ - فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ - ٱلْبَلْدَةِ - حَرَّمَهَا - أَتْلُوَا - ٱلْمُنذِرِينَ ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾	وجب عليهم العذاب –انتهى أمرهم فلم يعد يقبل من الناس إيمان
﴿لَا يُوقِنُونَ﴾	لا يصدقون بالبعث
﴿نَحْشُرُ﴾	نجمع
﴿فَوْجًا﴾	جماعة
﴿يُوزَعُونَ﴾	يرد أولهم على آخرهم ويساق آخرهم حتى يلحق بأولهم
﴿لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾	لينام فيه – ليستريحوا فيه
﴿ٱلصُّورِ﴾	قرنٌ ينفخ فيه
﴿دَٰخِرِينَ﴾	أذلاء
﴿جَامِدَةً﴾	قائمة
﴿تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾	تسير كما يسير السحاب
﴿أَنْقَنَ﴾	أحكم

MOSTAFALAWY.COM

﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾	بـ لا إله إلا الله
﴿فَزَعٍ﴾	خوفٍ
﴿بِٱلسَّيِّئَةِ﴾	بالشرك
﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾	طُرحت وجوههم – طُرحوا على وجوههم
﴿ٱلْبَلْدَةِ﴾	المراد بها مكة
﴿حَرَّمَهَا﴾	جعلها حرامًا لا يعضد شوكها ولا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها ولا يُختلى خلاها.. إلى آخر ما يخص مكة لكونها حرم
﴿أَتْلُوَاْ﴾	اقرأ – اتبع
﴿ٱلْمُنذِرِينَ﴾	المبلغين عن الله المُحذرين من عقابه وناره

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALAMY.COM

دابة الأرض وشيءٌ من الوارد في شأنها

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

ج: أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾.

فللعلماء فيه أقوال:

أحدها: إذا وجب عليهم العذاب.

الثاني: إذا انتهى أمر إيمان الناس ولن يؤمن إلا مَنْ قد آمن، أي: حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون.

الثالث: إذا وجب عليهم الغضب.

* أما متى تخرج دابة الأرض هذه، فقد قال عدد من العلماء: إن خروجها من أشراط الساعة الكبرى، أي: أن خروجها قبيل قيام الساعة.

وقد قيل إن ذلك حين ينتهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما من أي مكان تخرج: فلم أقف في ذلك على خبر ثابت عن رسول الله ﷺ، وإن كان كثير من المفسرين ذكروا أنها تخرج من مكة، وقال بعضهم: من جبل الصفا بمكة على وجه الخصوص.

أما عن صفة هذه الدابة: فلم أقف فيها على خبر ثابت عن رسول الله ﷺ.

أما قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: تنطق وتكلمهم كلامًا، وقد قيل أن تقول للمؤمن: يا مؤمن، وللكافر: يا كافر.

أما قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾.

فللعلماء فيه أقوال:

Nostrahadiyz.com

أحدها: تكلمهم تخبرهم بأن أهل الكفر كانوا لا يوقنون بالقرآن ولا برسالة رسول الله محمد - عليه الصلاة والسلام.

الثاني: تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام.

وقيل: تكلمهم بما يسوؤهم.

وقيل: تكلمهم. تقول لهم: إن الناس كانوا بخروجي لا يوقنون.

وقيل: تكلمهم. تجرجرهم وتسمهم على وجوههم. والله أعلم

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي: إذا وقع على الناس القول الذي حتمه الله وفرض وقته.

﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً ﴾ خارجة ﴿ مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ أو دابة من دواب الأرض ليست من السماء.

وهذه الدابة ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ أي: تكلم العباد أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، أي: لأجل أن الناس ضعف علمهم ويقينهم بآيات الله، فإظهار الله هذه الدابة من آيات الله العجيبة ليبين للناس ما كانوا فيه يمترون.

وهذه الدابة هي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان وتكون من أشراط الساعة كما تكاثرت بذلك الأحاديث لم يذكر الله ورسوله كيفية هذه الدابة، وإنما ذكر أثرها، والمقصود منها، وأنها من آيات الله تكلم الناس كلامًا خارقًا للعادة حين يقع القول على الناس، وحين يمترون بآيات الله فتكون حجة وبرهانًا للمؤمنين وحجة على المعاندين.

Mostafa Adly.com

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM

باب في ذكر الدابة من الآيات والأحاديث

س: اذكر بعض الوارد في ذكر الدابة وخروجها.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾.

ومن ذلك أيضًا ما يلي: ما أخرجه مسلم من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ[1]: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا**».

وعند مسلم أيضًا من حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: اطَّلَعَ عَلَيْنَا رسول الله ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ السَّاعَةَ. فَقَالَ: «**مَا تَذَاكَرُونَ؟**» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ**» فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَ...

وعند مسلم أيضًا من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا...، أَوِ الدَّابَّةَ..**»[2].

هذا وقد ورد في هذا الباب جملة أحاديث ضعيفة، منها:

ما أخرجه الطيالسي في «مسنده» رقم (١٠٦٩) عن طَلْحَةَ بْنِ عَمْرٍو، وَجَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ طَلْحَةُ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤١)، وأبو داود (٤٣١٠) وغيرهما.

(٢) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٣/ ٣٧٤): (هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، يُخرج الله لهم دابة من الأرض. قيل: من مكة، وقيل من غيرها).

MostafaBarry.com

عُبَيْدِ اللهِ، أَنَّ أَبَا الطُّفَيْلِ حَدَّثَهُ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أُسَيْدٍ الْغِفَارِيِّ أَبِي سَرِيحَةَ، وَأَمَّا جَرِيرٌ، فَقَالَ: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَيرٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ آلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَحَدِيثُ طَلْحَةَ أَتَمُّهَا وَأَحْسَنُهَا، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّابَّةَ، فَقَالَ: «لَهَا ثَلاَثُ خَرَجَاتٍ مِنَ الدَّهْرِ: فَتَخْرُجُ فِي أَقْصَى الْبَادِيَةِ ولَا يَدْخُلُ ذِكْرُهَا الْقَرْيَةَ - يَعْنِي مَكَّةَ- ثُمَّ تَكْمُنُ زَمَانًا طَوِيلاً، ثُمَّ تَخْرُجُ خَرْجَةً أُخْرَى دُونَ ذَلِكَ، فَيَعْلُو ذِكْرُهَا أَهْلَ الْبَادِيَةِ وَيَدْخُلُ ذِكْرُهَا الْقَرْيَةَ -يَعْنِي: مَكَّةَ»، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثُمَّ بَيْنَمَا النَّاسُ فِي أَعْظَمِ الْمَسَاجِدِ عَلَى اللهِ حُرْمَةً، خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، لَمْ يَرُعْهُمْ إِلاَّ وَهِيَ تَرْغُو بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، تَنْفُضُ عَنْ رَأْسِهَا التُّرَابَ، فَارْفَضَّ النَّاسُ مَعَهَا شَتَّى وَمَعًا، وَثَبَتْ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَنْ يُعْجِزُوا اللهَ، فَبَدَأَتْ بِهِمْ، فَجَلَتْ وُجُوهَهُمْ حَتَّى تَجْعَلَهَا كَأَنَّهَا الْكَوْكَبُ الدُّرِّي، وَوَلَّتْ فِي الأَرْضِ لاَ يُدْرِكُهَا طَالِبٌ، وَلاَ يَنْجُو مِنْهَا هَارِبٌ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَعَوَّذُ مِنْهَا بِالصَّلاَةِ، فَتَأْتِيَهُ مِنْ خَلْفِهِ، فَتَقُولُ: يَا فُلاَنُ يَا فُلاَنُ الآنَ تُصَلِّي، فَيُقْبِلُ عَلَيْهَا، فَتَسِمُهُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ يَنْطَلِقُ، وَيَشْتَرِكُ النَّاسُ فِي الأَمْوَالِ، وَيَصْطَبِحُونَ فِي الأَمْصَارِ، يُعْرَفُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ، حَتَّى إِنَّ الْمُؤْمِنَ، يَقُولُ: يَا كَافِرُ، أَقْضِنِي حَقِّي، وَحَتَّى إِنَّ الْكَافِرَ، يَقُولُ: يَا مُؤْمِنُ! أَقْضِنِي حَقِّي».

قلت: وهذا إسناده ضعيف جدًّا، فيه ثلاث علل:

العلة الأولى: طلحة بن عمرو، وهو: ابن عثمان الحضرمي المكي، وقد أطبق أهل العلم على تضعيفه.

العلة الثانية: كون جرير (وهو أثبت بلا شك من طلحة) روى الحديث عن عبد الله بن عبيد عن رجل من آل عبد الله بن مسعود وهذا الرجل مبهم.

العلة الثالثة: كون الحديث روي موقوفًا ببعضه عند ابن جرير الطبري في «التفسير» (١٠/ ١١).

حديث آخر ضعيف:

قال ابن جرير الطبري (٢٠/ ١١): حدثنا عصام بن روَّاد بن الجراح، قال: ثنا أبي، قال: ثنا سفيان بن سعيد الثوري، قال: ثنا منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حراش، قال: سمعت حُذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ يقول: وذكر الدابة، فقال حُذيفة: قلت: يا رسول الله! من أين تخرج؟ قال: «**مِنْ أَعْظَمِ المَساجِدِ حُرْمَةً عَلى اللهِ، بَيْنَما عِيسَى يَطُوفُ بالبَيْتِ وَمَعَهُ المُسْلِمُونَ؛ إذْ تَضْطَرِبُ الأرْضُ تحْتَهُمْ، تُحَرِّكُ القِنْدِيلِ، وَيَنْشَقُ الصَّفا ممَّا يَلي المَسْعَى، وَتَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنَ الصَّفا، أوَّلُ ما يَبْدُو رأْسُها، مُلَمَّعَةٌ ذَاتُ وَبَرٍ وَرِيشٍ، لَمْ يُدْرِكْها طالبٌ، وَلَنْ يَفُوتَها هاربٌ، تَسِمُ النَّاسَ مُؤْمِنٌ وكافِرٌ، أمَّا المُؤْمِنُ فَتَتْرُكُ وَجْهَهُ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيّ، وتَكْتُبُ بينَ عَيْنَيْهِ مُؤْمِنٌ، وأمَّا الكافِرُ فَتَنْكُتُ بينَ عَيْنَيْهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاء كافِرٌ**».

قلتُ: وآفة هذا الحديث «عصام بن رواد» ضعيف.

وأيضًا: أبوه رواد بن الجراح قد روى هذا الحديث عن سفيان الثوري، وفي روايته عن سفيان الثوري ضعف.

وقد روى بنحو هذا الإسناد، استعجبه أهلُ العلم واستنكروه، ولأنه في باب الفتن، فنورده مع التنبيه على أنه ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ.

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ («التفسير» ٢٢/ ٧٢-٧٣) آخر تفسير سورة سبأ: حدثنا عصام بن روَّاد بن الجراح قال: ثنا أبي قال: ثنا سفيان بن سعيد

MOSTAFA ADAWY.COM

قال: ثني منصور بن المعتمرِ عن رِبْعيِّ بن حِراش قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ، «وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، قال: فبينما هم كذلك؛ إذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فورة ذلك، حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين؛ جيشًا إلى المشرق، وجيشًا إلى المدينة، حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشأم، فتخرج راية هدى من الكوفة، فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين، فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويخلي جيشه التالي بالمدينة، فينتهبونها ثلاثة أيام ولياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء، بعث الله جبريل، فيقول: يا جبرائيل! اذهب فأبدهم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم، فذلك قوله في سورة سبإ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ ...﴾ [سبأ: ٥١] الآية، ولا ينفلت منهم إلا رجلان؛ أحدهما بشير والآخر نذير، وهما من جُهينة، فلذلك جاء القول: وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ الْيَقِينُ».

حدثنا محمد بن خلف العسقلاني قال: سألت رواد بن الجراح، عن هذا الحديث الذي حدَّث به عنه، عن سفيان الثوري، عن منصور، عن ربعي عن حذيفة، عن النبي ﷺ، عن قصة ذكرها في الفتن، قال: فقلت له: أخبرني عن هذا الحديث سمعته من سفيان الثوري؟ قال: لا قلت: فقرأته عليه؟ قال: لا قلت: فقرئ عليه وأنت حاضر؟ قال: لا قلت: فما قصته فما خبره؟ قال:

جاءني قوم فقالوا: معنا حديث عجيب، أو كلام هذا معناه، نقرؤه وتسمعه، قلت لهم: هاتوه، فقرؤوه عليَّ، ثم ذهبوا فحدثوا به عني، أو كلام هذا معناه.

قلت (القائل مصطفى): فهذا مما يؤيد ضعف رواية رواد عن سفيان. والله أعلم.

وأخرج ابن جرير الطبري أيضًا من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ وَعَصَا مُوسَى، فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا، وَتَخْتِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتَمِ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَجْتَمِعُونَ فَيَقُولُ هَذَا: يَا مُؤْمِنُ، وَيَقُولُ هَذَا: يَا كَافِرُ**».

قلتُ: وإسناده ضعيف، أيضًا ففيه: علي بن زيد، وهو: ابن جدعان، وهو ضعيف.

وأخرج ابن ماجه (٤٠٦٧) من حديث بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: ذَهَبَ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى مَوْضِعٍ بِالْبَادِيَةِ قَرِيبٍ مِنْ مَكَّةَ، فَإِذَا أَرْضٌ يَابِسَةٌ حَوْلَهَا رَمْلٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ فَإِذَا فِتْرٌ فِي شِبْرٍ**».

قلت: وإسناده ضعيف جدًّا، ففي إسناده خالد بن عبيد أبو تميلة وهو ضعيف جدًّا.

وأخرج أحمد (٥/ ٢٦٨) من طريق حُجَيْنُ بْنُ الْمُثَنَّى، ثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ - يَعْنِي: ابْنَ أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجِشُونَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَطِيَّةَ بْنِ دِلَافٍ الْمُزَنِيِّ - لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**تَخْرُجُ الدَّابَّةُ، فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ، ثُمَّ يَغْمُرُونَ فِيكُمْ، حَتَّى يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ فَيَقُولُ: مِمَّنِ اشْتَرَيْتَهُ؟ فَيَقُولُ: اشْتَرَيْتُهُ مِنْ أَحَدِ الْمُخَطَّمِينَ**».

MostafaAbdo.com

قلت: وفي إسناده عمر بن عبد الرحمن بن عطية بن دلاف، لم يوثقه معتبر، أما قول من قال: «إن مالكًا روى عنه، ورواية مالك عنه توثيق له» فهذا القول مما لا يلاقي عندنا قبولًا سريعًا، فنحن الآن على جهالة الرجل. والحديث ضعيف.

هذا وقد أورد ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ وكذلك الحافظ ابن كثير جملة آثار في هذا الباب توضِّح من أين تخرج الدابة وصفتها وما معها وما تعمل إلى غير ذلك، وفي أغلب الاسانيد التي ذكروها نظر، ولم نقف على شيء مرفوع يُعول عليه في هذا الباب. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: واذكر يا رسول الله، واذكر يا عبد الله يوم القيامة، يوم يجمع الله من كل أمة، من كل قرن، جماعة من المكذبين بحججنا وأدلتنا فهم يدفعون إلى النار، وقيل: يرد أولهم إلى آخرهم وآخرُهم إلى أولهم حتى لا يتقدم أحدٌ عن أحدٍ حتى إذا أوقفوا بين يدي الله كما قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤].

سألهم ربهم عَزَّوَجَلَّ أكذبتم في الدنيا بحججي وأدلتي ورسلي وما جاءوكم به من البينات، ولم تعرفوا آياتي وحججي حق المعرفة، أم ماذا كنتم تعملون في

آياتي وحججي، وما كان موقفكم منها.

وأيضًا أكذبتم بحججي وأدلتي ورسلي ولم تحيطوا علمًا ببطلانها، أي أكذبتم بآياتي بدون علمٍ وكذبتم بها بجهل أم ماذا كان موقفكم منها؟؟

أما قوله تعالى: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ فمعناه: ووجب عليهم العذاب بسبب ظلمهم، إذا ليس لهم عذرٌ يعتذرون به ولا جواب يجيبون به.

ثم يقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتي وحججي ألم يروا قدرتي وكوني جعلت الليل لهم سكنًا هادئًا ينامون فيه فيستريحون ويهدأون، وجعلت لهم النهار مضيئًا مشرقًا يلتمسون فيه المعاش ويسافرون ويروحون ويجيئون طلبًا للرزق، إن في ذلك الاختلاف اختلاف الليل والنهار بما فيه من مصالح لهم وراحة لأبدانهم وسبيلًا لقضاء حوائجهم، إن في ذلك لدلالات يستدل به أهل التصديق على وحدانية الله ﷻ وقدرته وعظيم فضله.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويوم نجمع من كل قرن وملة فوجًا، يعني: جماعة منهم، وزمرة ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ يقول: ممن يكذب بأدلتنا وحججنا، فهو يحبس أولهم على آخرهم؛ ليجتمع جميعهم، ثم يساقون إلى النار.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى﴾ يقول تعالى ذكره: حتى إذا جاء

MOSTAFAADAWY.COM

من كل أمة فوج ممن يكذب بآياتنا فاجتمعوا قال الله: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى﴾ أي: بحججي وأدلتي ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ يقول: ولم تعرفوها حق معرفتها، ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيها من تكذيب أو تصديق.

وقال الطبري أيضًا:

ويقول تعالى ذكره: ووجب السخط والغضب من الله على المكذبين بآياته ﴿بِمَا ظَلَمُوا۟﴾ يعني: بتكذيبهم بآيات الله، يوم يحشرون ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾.

يقول: فهم لا ينطقون بحجة يدفعون بها عن أنفسهم عظيم ما حل بهم ووقع عليهم من القول. وقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ يقول تعالى ذكره: ألم ير هؤلاء المكذَّبون بآياتنا تصريفنا الليل والنهار، ومخالفتنا بينهما بتصييرنا هذا سكنًا لهم يسكنون فيه ويهدءون، راحة أبدانهم من تعب التصرُّف والتقلب نهارًا، وهذا مضيئًا يبصرون فيه الأشياء ويعاينونها فيتقلبون فيه لمعايشهم، فيتفكروا في ذلك، ويتدبروا، ويعلموا أن مصرِّف ذلك كذلك هو الإله الذي لا يعجزه شيء، ولا يتعذر عليه إماتة الأحياء، وإحياء الأموات بعد الممات، كما لم يتعذر عليه الذهاب بالنهار والمجيء بالليل، والمجيء بالنهار والذهاب بالليل مع اختلاف أحوالهما ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في تصييرنا الليل سكنًا، والنهار مبصرًا لدلالة لقوم يؤمنون بالله على قدرته على ما آمنوا به من البعث بعد الموت، وحجة لهم على توحيد الله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن يوم القيامة، وحشر الظالمين المكذبين بآيات الله

ورسله إلى بين يدي الله ﷻ ليسألهم عما فعلوه في الدار الدنيا، تقريعًا وتوبيخًا، وتصغيرًا وتحقيرًا فقال: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ أي: من كل قوم وقرن فوجًا، أي: جماعة، ﴿ مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾، كما قال تعالى: ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ [الصافات: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [التكوير: ٧].

وقوله: ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يدفعون. وقال قتادة: وَزَعَةٌ ترد أولهم على آخرهم. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يساقون.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو ﴾ أي: أوقفوا بين يدي الله ﷻ في مقام المساءلة، ﴿ قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: ويسألون عن اعتقادهم، وأعمالهم فلما لم يكونوا من أهل السعادة، وكانوا كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَـٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢]، فحينئذٍ قامت عليهم الحجة، ولم يكن لهم عذر يعتذرون به، كما قال تعالى: ﴿ هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات: ٣٥-٣٧]، وهكذا قال هاهنا: ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾ أي: بهتوا فلم يكن لهم جواب؛ لأنهم كانوا في الدار الدنيا ظلمة لأنفسهم، وقد ردوا إلى عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفى عليه خافية.

ثم قال تعالى منبهًا على قدرته التامة، وسلطانه العظيم، وشأنه الرفيع الذي تجب طاعته والانقياد لأوامره، وتصديق أنبيائه فيما جاءوا به من الحق الذي لا مَحيد عنه، فقال: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ ﴾ أي: فيه ظلام تسكن بسببه حركاتهم، وتهدأ أنفاسهم، ويستريحون من نَصَب التعب في نهارهم. ﴿ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ أي: منيرًا مشرقًا، فبسبب ذلك يتصرفون في

المعايش والمكاسب، والأسفار والتجارات، وغير ذلك من شئونهم التي يحتاجون إليها، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ أي: زمرة وجماعة ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ يعني: بالقرآن وبأعلامنا الدالة على الحق ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يدفعون ويساقون إلى موضع الحساب قال الشماخ:

وكم وزعنا من حميس جحفل ... وكم حبونا من رئيس مسحل

وقال قتادة: ﴿يُوزَعُونَ﴾ أي: يرد أولهم على آخرهم حتى إذا جاؤوا قال أي: قال الله: ﴿أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي﴾ التي أنزلتها على رسلي وبالآيات التي أقمتها دلالة على توحيدي ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ أي ببطلانها حتى تعرضوا عنها بل كذبتم جاهلين غير مستدلين. ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تقريع وتوبيخ أي: ماذا كنتم تعملونه حين لم تبحثوا عنها ولم تتفكروا ما فيها ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا﴾ أي: وجب العذاب عليهم بظلمهم أي بشركهم. ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ أي: ليس لهم عذر ولا حجة وقيل: يختم على أفواههم فلا ينطقون قاله أكثر المفسرين.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ أي: يستقرون فينامون ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي: يبصر فيه لسعي الرزق ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بالله ذكر الدلالة على إلهيته وقدرته أي: يعلموا كمال قدرتنا فيؤمنوا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: واذكر يوم يُنفخ في الصور، والصور: قرنٌ ينفخ

فيه، ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، فعند ذلك يفزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله.

وقد قيل في الذين استثناهم الله إنهم الملائكة وقيل: الشهداء، وقيل: المؤمنون، وقيل غير ذلك فالله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ أي: اتوه يوم القيامة أذلة صاغرون.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى عن هول يوم نفخة الفَزَع في الصُّور، وهو كما جاء في الحديث: «قرن ينفخ فيه». وفي حديث (الصُّور) أن إسرافيل هو الذي ينفخ فيه بأمر الله تعالى، فينفخ فيه أولًا نفخة الفزع ويطولها، وذلك في آخر عمر الدنيا، حين تقوم الساعة على شرار الناس من الأحياء، فيفزع مَنْ في السموات ومَنْ في الأرض ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، وهم الشهداء، فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

ثم أورد ابن كثير رحمه الله: حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه مسلم[1] وفيه:

قَالَ: سَمِعْتهَا مِنْ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «فَيَبْقَى شِرَار النَّاس فِي خِفَّة الطَّيْر وَأَحْلَام السِّبَاع. لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا. فَيَتَمَثَّل لَهُمْ الشَّيْطَان فَيَقُول: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرنَا؟ فَيَأْمُرهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَان. وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقهمْ، حَسَن عَيْشهمْ، ثُمَّ يُنْفَخ فِي الصُّور. فَلَا يَسْمَعهُ أَحَد إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا. وَرَفَعَ لَيْتًا. قَالَ: وَأَوَّل مَنْ يَسْمَعهُ رَجُل يَلُوط حَوْض إِبِله قَالَ: فَيُصْعَق وَيُصْعَق النَّاس ثُمَّ يُرْسِل الله -أَوْ قَالَ يُنْزِل الله- مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلّ أَوْ الظِّلّ (نُعْمَان الشَّاكّ) فَتَنْبُت مِنْهُ أَجْسَاد النَّاس. ثُمَّ يُنْفَخ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَام يَنْظُرُونَ. ثُمَّ

(١) مسلم (٢٩٤٠).

يُقَال: يَا أَيّهَا النَّاس! هَلُمَّ إِلَى رَبّكُمْ. ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات:٢٤]، ثُمَّ يُقَال: أَخْرِجُوا بَعْث النَّار. فَيُقَال: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَال: مِنْ كُلّ أَلْف، تِسْعمِائَةٍ وَتِسْعَة وَتِسْعِينَ. قَالَ: فَذَاكَ يَوْم يَجْعَل الْوِلْدَان شِيبًا وَذَلِكَ يَوْم يُكْشَف عَنْ سَاق».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فقوله: «ثُمَّ يُنْفَخ فِي الصُّور. فَلَا يَسْمَعهُ أَحَد إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا. وَرَفَعَ لَيْتًا» الليت: هو صفحة العنق، أي: أمال عنقه ليستمعه من السماء جيدًا.

فهذه نفخة الفزع. ثم بعد ذلك نفخة الصعق، وهو الموت. ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين، وهو النشور من القبور لجميع الخلائق؛ ولهذا قال: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ -قُرئ بالمد، وبغيره على الفعل، وكلٌّ بمعنى واحد- و﴿دَٰخِرِينَ﴾ أي: صاغرين مطيعين، لا يتخلف أحد عن أمره، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء:٥٢]، وقال: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]. وفي حديث الصور: أنه في النفخة الثالثة يأمر الله الأرواح، فتوضع في ثقب في الصور، ثم ينفخ إسرافيل فيه بعدما تنبت الأجساد في قبورها وأماكنها، فإذا نفخ في الصور طارت الأرواح، تتوهج أرواح المؤمنين نورًا، وأرواح الكافرين ظُلمة، فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلى جسدها. فتجيء الأرواح إلى أجسادها، فتدب فيها كما يَدب السُّمُّ في اللديغ، ثم يقومون فينفضون التراب من قبورهم، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣].

وأورد الطبري بسندٍ ضعيف من حديث أبي هريرة: أنه قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! ما الصور؟ قال: «قَرْنٌ»، قال: وكيف هو؟ قال: «قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ

فِيهِ ثَلاثُ نَفَخاتٍ: الأولى: نَفْخَةُ الفَزَعِ، والثَّانِيَةُ: نَفْخَةُ الصَّعْقِ، والثَّالِثَةُ: نَفْخَةُ القِيَامِ لِلهِ رَبِّ العَالَمينَ، يَأْمُرُ اللهُ إِسْرَافِيلَ بالنَّفْخَةِ الأولى، فيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الفَزَعِ، فَيَنْفُخُ نَفْخَةَ الفَزَعِ، فَيَفْزَعُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وأَهْلُ الأَرْضِ، إلا مَنْ شاءَ اللهُ، وَيأْمُرُهُ اللهُ فَيَمُدُّ بِها ويطوِّلها، فَلا يَفْتُرُ، وَهيَ الَّتي يَقُولُ اللهُ: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥] فَيُسَيِّرُ اللهُ الجِبالَ، فَتَكُونُ سَرَابًا، وَتُرَجُّ الأَرْضُ بأَهْلِها رجًّا، وهي التي يقول الله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٦-٨] فَتَكُونُ الأرضُ كالسَّفِينَةِ المُوثَقَةِ فِي البَحْرِ، تَضْرِبُها الأَمْوَاجُ، تُكْفأ بأَهْلِها، أَوْ كالقِنْدِيلِ المُعَلَّقِ بالوَتَرِ، تُرَجِّحُهُ الأَرْياحُ، فَتَمِيدُ النَّاسُ على ظَهْرِها، فَتَذْهَلُ المَرَاضِعُ، وَتَضَعُ الحَوَامِلُ، وَتَشِيبُ الوِلْدَانُ، وَتَطِيرُ الشَّياطِينُ هارِبَةً، حَتَّى تَأْتِي الأَقْطارَ، فَتَتَلَقَّاهَا المَلائِكَةُ، فَتَضْرِبُ وُجُوهَها، فَتَرْجِعُ، وَيُوَلِّي النَّاسُ مُدْبِرِينَ يُنادي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللهُ: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝٣٢ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٢-٣٣] فَبَيْنَما هُمْ عَلى ذلكَ إِذْ تَصَدَّعَتِ الأَرْضُ مِنْ قُطْرٍ إِلى قُطْرٍ، فَرَأَوْا أَمْرًا عَظِيمًا، فَأَخَذَهُمْ لِذَلكَ مِنَ الكَرْبِ ما اللهُ أَعْلَمُ بِهِ، ثُمَّ نَظَرُوا إِلى السَّماءِ، فإِذَا هِيَ كَالمُهْلِ، ثُمَّ خُسِفَ شَمْسُها وَقَمَرُها، وانْتَثَرَتْ نُجُومُها، ثُمَّ كُشِطَتْ عَنْهُمْ». قال رسول الله ﷺ: «والأَمْوَاتُ لا يعْلَمُون بِشَيْءٍ مِنْ ذلكَ، فقال أبو هريرة: يا رسول الله! فمن استثنى الله حين يقول: ﴿فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٨٧]؟ قال: «أُولَئِكَ الشُّهَدَاءُ، وإِنَّمَا يَصِلُ الفَزَعُ إِلى الأَحْياءِ، أُولَئِكَ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَقاهُمُ اللهُ فَزَعَ ذَلِكَ الْيَومِ وآمَنَهُمْ، وَهُوَ عَذَابُ اللهِ يَبْعَثُهُ عَلى شِرارِ خَلْقِه».

وأورد بسندٍ حسن: عن قَتادة، قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ أي: في الخلق. قوله: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: ففزع من في السموات من الملائكة ومن في الأرض من الجن والإنس والشياطين، من هول ما يعاينون ذلك اليوم.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قيل: إن الذين استثناهم الله في هذا الموضع من أن ينالهم الفزع يومئذٍ الشهداء، وذلك أنهم أحياء عند ربهم يُرزقون، وإن كانوا في عداد الموتى عند أهل الدنيا، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ، وقد ذكرناه في الخبر الماضي.

وقوله: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ يقول: وكل أتوه صاغرين.

وأورد بسند صحيح عن ابن زيد: في قوله: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ قال: الداخر: الصاغر الراغم، قال: لأن المرء الذي يفزع إذا فزع إنما همته الهرب من الأمر الذي فزع منه، قال: فلما نُفخ في الصور فزعوا، فلم يكن لهم من الله منجى.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ أي: واذكر يوم أو ذكرهم يوم ينفخ في الصور ومذهب الفراء أن المعنى: وذلكم يوم ينفخ في الصور وأجاز فيه الحذف والصحيح في الصور أنه قرن من نور ينفخ فيه إسرافيل. وقال مجاهد: كهيئة البوق وقيل: هو البوق بلغة أهل اليمن وقد مضى في (الأنعام) بيانه وما للعلماء في ذلك ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قال أبو هريرة قال النبي ﷺ: «**إن الله لما فرغ من خلف السموات خلق الصور فأعطاه إسرافيل**

Nostrafadaw.com

فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر بالنفخة» قلت: يا رسول الله ما الصور؟ قال: «**قرن والله عظيم والذي بعثني بالحق إن عظم دارة فيه كعرض السماء والأرض فينفخ فيه ثلاث نفخات: النفخة الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة البعث والقيام لرب العالمين**» وذكر الحديث ذكره علي بن معبد والطبري والثعلبي وغيرهم وصححه ابن العربي وقد ذكرته في كتاب التذكرة وتكلمنا عليه هنالك وأن الصحيح في النفخ في الصور أنهما نفختان لا ثلاث وأن نفخة الفزع إنما تكون راجعة إلى نفخة الصعق لأن الأرين لازمان لهما أي: فزعوا فزعًا ماتوا منه أو إلى نفخة البعث وهو اختيار القشيري وغيره فإنه قال في كلامه على هذه الآية: والمراد النفخة الثانية أي: يحيون فزعين يقولون: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢] ويعاينون من الأمر ما يهولهم ويفزعهم وهذا النفخ كصوت البوق لتجتمع الخلق في أرض الجزاء قاله قتادة وقال الماوردي: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ هو يوم النشور من القبور قال وفي هذا الفزع قولان: أحدهما: أنه الإسراع والإجابة إلى النداء من قولهم: فزعت إليك في كذا إذا أسرعت إلى ندائك في معونتك والقول الثاني: إن الفزع هنا هو الفزع المعهود من الخوف والحزن؛ لأنهم أزعجوا من قبورهم ففزعوا وخافوا وهذا أشبه القولين.

قلت: والسنة الثابتة من حديث أبي هريرة وحديث عبد الله بن عمرو يدل على أنهما نفختان لا ثلاث. خرجهما مسلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: وترى يا رسول الله – يوم القيامة يوم ينفخ في الصور – ترى الجبال تحسبها قائمة، ولكنها تسير وتتحرك بسرعة كما يتحرك السحاب، كما قال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]، وكما قال: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣]، فهذا صنع الله ﷻ، صنع الله الذي أحكم صناعة كل شيء، إنه خبير بكل ما تفعلونه أيها الناس.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ يا محمد ﴿تَحْسَبُهَا﴾ قائمة ﴿وَهِىَ تَمُرُّ﴾.

وإنما قيل: ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ لأنها تجمع ثم تسير، فيحسب رائيها لكثرتها أنها واقفة، وهي تسير سيرًا حثيثًا، كما قال الجعدي:

بِأَرْعَنَ مِثْلَ الطَّوْدِ تَحْسِبُ أَنَّهُمْ ... وُقُوفٌ لِحَاجٍ والرِّكَابُ تُهَمْلِجُ

قوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ وأوثق خلقه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم وخبرة بما يفعل عباده من خير وشر وطاعة له ومعصية، وهو مجازٍ جميعهم على جميع ذلك على الخير الخيرَ، وعلى الشرِّ الشر نظيره.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ أي: تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه، وهي تمر مر السحاب، أي: تزول عن أماكنها، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور: ٩، ١٠]، وقال

MostafaBayz.com

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥ - ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧].

وقوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي: يفعل ذلك بقدرته العظيمة الذي قد أتقن كل ما خلق، وأودع فيه من الحكمة ما أودع، ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: هو عليم بما يفعل عباده من خير وشرٍّ فيجازيهم عليه.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ قال ابن عباس: أي: قائمة وهي تسير سيرًا حثيثًا. قال القتبي: وذلك أن الجبال تجمع وتسير فهي في رؤية العين كالقائمة وهي تسير وكذلك كل شيء عظيم وجمع كثير يقصر عنه النظر لكثرته وبُعْدِ ما بين أطرافه وهو في حسبان الناظر كالواقف وهو يسير قال النابغة في وصف جيش:

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم ... وقوف لحاج والركاب تهملج

قال القشيري: وهذا يوم القيامة أي: هي لكثرتها كأنها جامدة أي: واقفة في مرأى العين وإن كانت في أنفسها تسير سير السحاب والسحاب المتراكم يظن أنها واقفة وهي تسير أي: تمر مر السحاب حتى لا يبقى منها شيء، فقال الله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠] ويقال: إن الله تعالى وصف الجبال بصفات مختلفة ترجع كلها إلى تفريغ الأرض منها وإبراز ما كانت تواريه فأول الصفات الاندكاك وذلك قبل الزلزلة ثم تصير كالعهن المنفوش وذلك إذا صارت السماء كالمهل وقد جمع الله بينهما فقال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ

﴿كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٨ - ٩] والحالة الثالثة أن تصير كالهباء وذلك أن تتقطع بعد أن كانت كالعهن والحالة الرابعة أن تنسف لأنها مع الأحوال المتقدمة قارة في مواضعها والأرض تحتها غير بارزة فتنسف عنها لتبرز فإذا نسفت فبإرسال الرياح عليها والحالة الخامسة أن الرياح ترفعها على وجه الأرض فتظهرها شعاعًا في الهواء كأنها غبار فمن ننظر إليها من بعد حسبها لتكاثفها أجسادًا جامدة وهي بالحقيقة مارة إلا أن مرورها من وراء الرياح كأنها مندكة متفتتة والحالة السادسة أن تكون سرابًا فمن نظر إلى مواضعها لم يجد فيها شيئًا منها كالسراب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝٨٩ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٩٠﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم- من جاء ربه يوم القيامة بالتوحيد بـ(لا إله إلا الله) التي كان يقولها في الدنيا خالصًا من قلبه فله أجر ذلك مضاعف أضعافًا كثيرة، وهم من فزع يوم القيامة آمنون، آمنون من الفزع، آمنون من الخوف، لا يفزع إذا فزع الناس، ومن جاء ربَّه يوم القيامة بـ(الشرك) أي: أنه كان في الدنيا مشركًا ومات على ذلك، فيُلقى على وجهه يوم القيامة في نار جهنم والعياذ بالله، وما ظلمناه بإلقائه في النار على وجهه، وإنما جازيناه بعمله السيئ الذي كان يعمله في الدنيا، جازيناه بعبادته غير الله، جازيناه بشركه الذي أشرك.

وهذه أقوال بعض العلماء.

Mostafa.com

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿مَن جَآءَ﴾ الله بتوحيده والإيمان به، وقول لا إله إلا الله موقنًا به قلبه ﴿فَلَهُۥ﴾ من هذه الحسنة عند الله ﴿خَيْرٌ﴾ يوم القيامة، وذلك الخير أن يثيبه الله ﴿مِّنْهَا﴾ الجنة، ويؤمنّه ﴿مِّن فَزَعٍ﴾ الصيحة الكبرى وهي النفخ في الصور. ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ يقول: ومن جاء بالشرك به يوم يلقاه، وجحود وحدانيته ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ في نار جهنم.

وأورد الطبري عدة آثار مفادها أن السيئة: الشرك، وأن الحسنة: قول لا إله إلا الله.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره. يقال لهم: هل تجزون أيها المشركون إلا ما كنتم تعملون؛ إذ كبكم الله لوجوهكم في النار، وإلا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا بما يسخط ربكم؛ وترك «يقال لهم» اكتفاء بدلالة الكلام عليه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم بين تعالى حال السعداء والأشقياء يومئذٍ فقال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ -قال قتادة: بالإخلاص. وقال زين العابدين: هي لا إله إلا الله -وقد بيَّن في المكان الآخر أن له عَشْر أمثالها ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾، كما قال في الآية الأخرى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، وقال: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقال: ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

MOSTAFAADWY.COM

وقولـه: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ أي: مَـنْ لقـي الله مسـيئًا لا حسنة له، أو: قد رجحت سيئاته على حسناته، كـلٌّ بحسبه؛ ولهـذا قـال: ﴿هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

أما القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: فقد نقل الإجماع على أن الحسنة لا إله إلا الله، وأن السيئة الشرك في هذه الآية.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: قل يا رسول الله لأهل الشرك: إنما أمرني ربي ﷻ أن أعبده وحده لا شريك له فهو ربُّ هذه البلدة مكة البلد الحرام الذي جعلها محرمةً، جعلها حرمًا آمنًا فكان ذلك سببًا في أمانكم وهيبتكم عند الناس، فالناس من حولكم يُتخطفون، يقتل بعضهم بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا، ويسرق بعضهم بعضًا. أما أنتم فقد جعلكم الله ببلدةٍ حرام حرمها هو سبحانه وقذف في الناس هيبتها فلا يعتدي عليكم معتدٍ ولا يبغي عليكم باغ كما قال تعالى: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [قريش: ٣، ٤].

فإني من ثمَّ أعبده وحده لا شريك له فهو ربي وربكم وربُّ هذه البلدة وربُّ البلاد كلها وله كل شيء مُلكًا وخلقًا وأمرًا ونهيًا يفعل ما يشاء ويخلق ما يشاء.

الأشياء كلها ملك له سبحانه وتعالى، وكذا فإنه يأمر فيها بما يشاء ويقضي

MostafaBayoni.com

فيها بما يريد، وقد أمرني ربي أن أكون من المستسلمين الخاضعين المنقادين له ﷻ، وكذا من المتدينين له بدين الإسلام.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد قل: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ وهي مكة ﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ على خلقه أن يسفكوا فيها دمًا حرامًا، أو يظلموا فيها أحدًا، أو يصاد صيدها، أو يختلى خلاها دون الأوثان التي تعبدونها أيها المشركون.

وقوله: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ يقول: ولربِّ هذه البلدة الأشياء كلها ملكًا. فإياه أمرت أن أعبد، لا من لا يملك شيئًا. وإنما قال جل ثناؤه: ﴿رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ فخصها بالذكر دون سائر البلدان، وهو ربّ البلاد كلها؛ لأنه أراد تعريف المشركين من قوم رسول الله ﷺ، الذين هم أهل مكة، بذلك نعمته عليهم، وإحسانه إليهم، وأن الذي ينبغي لهم أن يعبدوه هو الذي حرَّم بلدهم، فمنع الناس منهم، وهم في سائر البلاد يأكل بعضهم بعضًا، ويقتل بعضهم بعضًا، لا من لم تجر له عليهم نعمة، ولا يقدر لهم على نفع ولا ضر. وقوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ يقول: وأمرني ربي أن أسلم وجهي له حنيفًا، فأكون من المسلمين الذين دانوا بدين خليله إبراهيم وجدكم أيها المشركون، لا من خالف دين جده المحق، ودان دين إبليس عدو الله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا رسوله وآمرًا له أن يقول: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾، كَمَا قَالَ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ

﴿أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ [يونس: ١٠٤].

وإضافة الربوبية إلى البلدة على سبيل التشريف لها والاعتناء بها، كما قال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾.

[قريش: ٣-٤]

وقوله: ﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ أي: الذي إنما صارت حرامًا قدرًا وشرعًا، بتحريمه لها، كما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «**إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُعضَد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لُقَطَتُه إلا لِمَنْ عرفها، ولا يختلى خلاها**»(١) الحديث بتمامه. وقد ثبت في الصحاح والحسان والمسانيد من طرق جماعة تفيد القطع، كما هو مبين في موضعه من كتاب الأحكام، ولله الحمد.

وقوله: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾: من باب عطف العام على الخاص، أي: هو رب هذه البلدة، ورب كل شيء ومليكه، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: الموحدين المخلصين المنقادين لأمره المطيعين له.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ يعني: مكة التي عظم الله حرمتها أي: جعلها حرما آمنًا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد فيها صيد ولا يعضد فيها شجر.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ خلقًا وملكًا ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: من

(١) البخاري (١٨٣٤)، ومسلم (١٣٥٣).

MostafaLabib.com

المناقدين لأمره والموحدين له.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: وأمرت أن أتلو عليكم القرآن فمن اتبع هذا القرآن واهتدى بهديه واستنار بآياته واستبصر بها فإن ثواب استقامته واتباعه للقرآن وآياته عائدٌ على نفسه، ومن ضلَّ وحاد عن طريق الهداية والاستقامة فإثمه على نفسه وإنما عليَّ البلاغ والإنذار فحسب. والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ و﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ يقول: فمن تبعني وآمن بي وبما جئت به، فسلك طريق الرشاد ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ﴾ يقول: فإنما يسلك سبيل الصواب باتباعه إياي، وإيمانه بي، وبما جئت به لنفسه؛ لأنه بإيمانه بي، وبما جئت به يأمن نقمته في الدنيا وعذابه في الآخرة. وقوله: ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ يقول: ومن جار عن قصد السبيل بتكذيبه بي وبما جئت به من عند الله ﴿فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فقل يا محمد لمن ضلّ عن قصد السبيل، وكذبك، ولم يصدّق بما جئت به من عندي: إنما أنا ممن ينذر قومه عذاب الله وسخطه على معصيتهم إياه، وقد أنذرتكم ذلك معشر كفار قريش، فإن قبلتم وانتهيتم عما يكرهه الله منكم من الشرك به، فحظوظَ أنفسكم تصيبون، وإن رددتم وكذبتم فعلى أنفسكم جنيتم، وقد بلغتكم ما أمرت بإبلاغه إياكم، ونصحت لكم.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: على الناس أبلغهم إياه، كقوله: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨]، وكقوله: ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٣] أي: أنا مبلغ ومنذر، ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ أي: لي سوية الرسل الذين أنذروا قومهم، وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة إليهم، وخَلَصُوا من عهدتهم، وحساب أممهم على الله، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

ج: وقل الحمد لله على عموم نعمه، وعلى نعمة الإسلام التي هدانا إليها وعلى القرآن الذي أنزله عليَّ فاتبعته وتلوته، وسيريكم ربي آياته فيكم سينزل عليكم عذابًا فتعرفون صدقي فيما أخبرتكم به من الحقائق، ستعرفون حقيقة أقوالي، وسيريكم آياته في الآفاق، تلك الآيات الدالة على قدرته ووحدانيته فتعلمون صدق ما دعوتكم إليه من توحيد الله ﷻ، وما ربك بغافل عن أعمالهم التي يعملونها وعن أقوالهم التي يقولونها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَقُلِ﴾ يا محمد لهؤلاء القائلين لك من مشركي قومك: ﴿مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على نعمته علينا بتوفيقه إيانا للحق الذي أنتم عنه عمون، سيريكم ربكم آيات عذابه وسخطه،

Mostafa Adly.com

فتعرفون بها حقيقة نصحي كان لكم، ويتبين صدق ما دعوتكم إليه من الرشاد.

وقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما ربك يا محمد بغافل عما يعمل هؤلاء المشركون، ولكن لهم أجل هم بالغوه، فإذا بلغوه فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: فلا يحزنك تكذيبهم إياك، فإني من وراء إهلاكهم، وإني لهم بالمرصاد، فأيقن لنفسك بالنصر، ولعدوّك بالذلّ والخزي.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ﴾، أي: لله الحمد الذي لا يُعذِّب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، والإعذار إليه؛ ولهذا قال: ﴿ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ﴾ كما قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ﴾. [فصلت: ٥٣]

وقوله: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ أي: بل هو شهيد على كل شيء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ أي: على نعمه وعلى ما هدانا ﴿ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ أي: في أنفسكم وفي غيركم كما قال: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [فصلت: ٥٣] ﴿فَتَعْرِفُونَهَا ۚ﴾ أي: دلائل قدرته ووحدانيته في أنفسكم وفي السموات وفي الأرض نظيره قوله تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠ – ٢١] ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

❁ ❁ ❁

MOSTAFALADAW.COM

MOSTAFAALADWY.COM